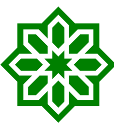
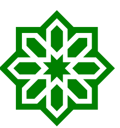
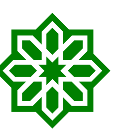
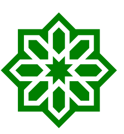


من ورائهم

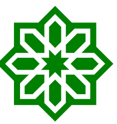



رسالة أعدها

(أبو عبد الرحمن)

إبراهيم إسماعيل غانم

اللهم إنا نبرأ من الثقة إلا بك .

ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك .

ومن التفويض إلا عليك ومن الطلب إلا منك .

ومن الرضا إلا عنك، ومن الذل إلا في طاعتك .

ومن الصبر إلا على بابك .

ومن الرهبة إلا لجلالك الكريم..

اللهم تتابع برك، واتصل خيرك .

وعمت فواضلك، وتمت نوافلك..

وبر قسمك، وصدق وعدك، وحق على أعدائك وعيدك .

ولم تبقى حاجة لنا إلا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين .

فلك الحمد حتى ترضى .

ولك الحمد بعد الرضا .

ولك الحمد حمدا سرمدياً أبدا .



لقد فَشِلَت كل مُحاولات أعداء دين الإسلام لتحريف القرآن الكريم وتأليف مثله، أو التشكيك فيه، أو إيجاد أي اختلاف أو نقص، ولم يجدوا إليه مدخلاً، فخابوا وخسئوا، وذلك لحفظ القادر العظيم جل جلاله له، القائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)﴾ (الحجر)، لذا فقد وجهوا سهام حقدهم وحسدهم إلى السُّنة النبوية، وظنوا من خلال تشكيكهم في الأحاديث، وفي بعض الصحابة المكثرين من الرواية، أنهم سينالون من كتاب الله تعالى، فيُعطّلوه عن العمل، وفاتهم أن الله تعالى هو حافظ هذا الدين، وهو الذي أخبرنا بنواياهم من قبل، فقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109)﴾ (البقرة)، وقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (النساء: 89)، هل لاحظت قوله: ﴿حَسَدًا﴾، وقوله: ﴿فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾؟.

لكن؛ صدر قرار رباني بأنه لا يُفلح من حادّ الله ورسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21)﴾ (المجادلة).

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(سورة يوسف: 21)

إلى سيدي

إلى سيّدي الهادي مددتُ مِدادي *** أرفــقــتُ فـيه هويتي وفـؤادي

عطرتـه بـعـبـير عـمـري كـلـه *** ورسـمـتُ فـي أرجائه أعيادي

أُهديـك يـا خير البرية مهـجـتي *** ويـقـين تصديقي لـقول الهادي

فجميع قـولـك صادقٌ ومُصَـدَّقٌ *** إن صــح فـي متنٍ وفـي إسنادِ

وجميع مـا قـد صح مـنـه فـإنـه *** وحـي مـن الرحمن، دون عنادِ

ودليـله فـي سـورة الـنـجم الـتي *** تـجلو وتغسل كل قلبٍ صادي

يا أمـة الإسـلام أرعوا سمعكم *** واصغوا إلى صوت النبي يُنادي

"إن الـهداية في الكـتابِ وسُـنتي" *** عـضوا عليهـا يـا حُماة الوادي

سُـلوا سـيـوف الـبِرّ من أغمادها *** و لـتنصـروا سُنن النبي الهادي

و لتنحروا شُبهات من زهدوا بهـا *** أهـل الهـوى والفسق والإفسادِ

لا تـهـجروا دسـتوركم فهو الذي *** بـالـعـز يأخذكم إلى الأمجادِ

هـذا الـنداء، فـأيّـنـا مُـتـأسـيًا *** ويـقول : ديـني دونـه أولادي؟

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي دّل على وحدانيته ألف دليل ودليل، وتظهر لنا آثار عَظَمَته بالغداة والأصيل، وأمَرَ العقول بالتدبُّر في الكون وفي النفس وفي آيات التنزيل، هو المالك المتصرف في كل مخلوقاته، وهو العظيم الجليل، أكرم نبيَّهُ بخير كتاب، وأمرنا بالاقتداء به وبالأصحاب، فالمقتدي به له جزيل الثواب، والمتنكب لشرعه ضل وخاب، ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾..

أما بعد.. فالقبر في مُعتَقَد المسلمين إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار[1]، جعله الله برزخًا بين حياتين، وفاصلاً بين مرحلتين، فهو بمثابة محطة وقوف وانتظار، يقف فيها من مات، ريثما تنقضي أعمار الناس في حياتهم الدنيا، لينتقلوا بعدها جميعًا إلى الدار الآخرة حيث يجازى المُحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته.

ورغم أن مرحلة (القبر) غيبية محضة، لا تدركها العقول ولا الحسّ، فلم يخرج لنا ميتٌ ليخبرنا بما رأى، ولا نزل حيٌّ إلى أهل القبور ليعلم حالهم، فالغيب يحيط بهذه المرحلة من كل جوانبها، فلا طريق لمعرفة كنهها وحقيقتها إلا بالخبر في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، إلا أنه وُجِدَ من يُشَغّب على تلك

---

[1] حديث: «إِنَّمَا القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ» أخرجه الترمذي (**2460**)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ". وقد ضعفه الحافظ العراقي في "تخريج أحاديث الإحياء" (ص**358**)، وابن رجب، في "الجامع لتفسيره" (ج**2** ص **377**)، والسخاوي في "المقاصد" (ص**484**)، والشوكاني في " الفوائد المجموعة " (ص**269**)، والألباني في "ضعيف الترغيب" (**1944**) وفي " ضعيف الجامع " (**1231**). فهو ضعيف بهذا اللفظ، ولكنه صحيح المعنى، فيوجد بمعناه أحاديث كثيرة صحيحة، أوردتُ بعضها في هذه الرسالة.

النصوص بدعوى معارضتها لنصوص أخرى، أو بدعوى أنه لا يوجد في القرآن صريحًا، فأُثيرت شبهات كثيرة للطعن في دين الإسلام، وفي شرع الله وأحكامه، ومن هذه الشبهات ما أثاروه حول قضية نعيم القبر عذابه، لدرجة أنهم أسموها " خُرافة"، حتى ألَّفَ بعضهم كُتبًا ومقالات، وسَخَّروا الأقلام والإعلام، والبرامج والأفلام، وأنفقوا الأموال والجهود لأجل ذلك[1].

وقبل الخوض في هذا الموضوع، أود أن أُمهد بالقول: إن أول صفة وصفها الله تعالى للمؤمنين الصالحين المتقين هي: أنهم يؤمنون بالغيب، قال تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ (سورة البقرة)، وهذه الغيبيات قد استأثر الله تعالى واختص بها نفسه جل وعلا، دون من سواه من ملك مقرب أو نبيّ مرسل، فضلاً عن عامة الناس، وبذلك جاءت الآيات والأحاديث، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ (هود: 123)، وقال تعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (65)﴾ (سورة النمل)، وقال عز وجل: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الكهف: 26)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ (آل عمران: 179).

أما بالنسبة للمخلوقين، فإنه لا يُمكن لأحد أن يعلم الغيب -أيًّا كان- إلا بوحي من الله تعالى، إما آية من كتاب الله تعالى، أو حديث نبويّ صحيح صريح؛ لأنه وحي من الله تعالى أيضًا -بِنَصّ القرآن الكريم-، وحتى الأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا ما عَلَّمَهُم الله منه، فهو -جل جلاله- يُطلع من

[1] منها كتاب "عذاب القبر والثعبان الأقرع" لأحمد صبحي منصور، وكتاب "حقيقة عذاب القبر"، وهي ملي ئة بالمغالطات، وبعيدة عن البحث العلمي الموضوعي.

يرتضيه من رسله على بعض الغيب إذا شاء ومتى شاء، لقوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ (الأنعام: 50)، وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) ألا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (الجن).

فإن قيل: قد يأتي في الأخبار ما لا يَدُلّ العقل عليه، أو ما ينافي العقل، أو ما لا يمكن للعقل أن يدركه؟ فنقول: إنَّ المسلمينَ الصادقين لا ينظرون إلى مثل هذا الكلام ولا يأبهون به، فما دام أن الأمر ثبت عن الله تعالى أو عن رسوله الذي لا ينطق عن الهوى، فإن على المسلم أن يُسَلِّمَ ويُصَدّق دون اعتراض، ولا يَعْرِضُونَهُ على العقول والآراء، ولا على المشايخ، ولا على مناهج المتكلمين، فإذا رأى أهل النارِ النارَ وأهل الجنةِ الجنةَ، أو عند خروج الشمس من مغربها، ورأى الناس ما كانوا يوعدون، فحينئذٍ: ﴿لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام:158)؛ لا ينفع الإيمان حينئذ بتلك الغيبيات لأنها قد صارت أمراً مشاهداً ولم تَعُد غيبًا.

وهنا نضرب مثالاً بسيطًا لأجل التوضيح فقط، فقد جاء في القرآن الكريم إخبارٌ عن: (امرأة فرعون)، فمن يستطيع أن يُخبرنا باسمها؟ لا أحد يُمكنه ذلك، لأنه بالنسبة إلينا غيب، فلم نشهده، ولم يشهده أحد ثقة ثم جاء وأخبرنا، فلما أخبرنا النبي ﷺ أن اسمها هو (آسية بنت مزاحم)[1] عن طريق

[1] ورد في فضلها أحاديث كثيرة، منها: قال ﷺ: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: مَرْيَمُ ابنةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحمّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ»، وقال: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلاّ مَرْيَمُ ابنةُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ» انظر البخاري (3433) و(3769)، ومسلم (70-2431)، والترمذي (1843)، والطيالسي (506)، وابن ماجة (3280) و أحمد في "المسند" وفي "فضائل الصحابة" أكثر من عشرين حديثًا، وغيرهم.

الأحاديث الصحيحة، فإننا نُصَدّق ونجزم ولا نَشُكّ ولا بأي حال أن اسمها (آسية)، لأن عِلمه جاء بوحي، وليس من عند نفسه ﷺ، وهكذا نتعامل مع كل الغيبيات.

ومن أمثلة هذه الغيبيات: قصص الأقوام السابقين، والملائكة، والجن والشياطين، والحساب والحشر، والجنة والنار، ومنها: نعيم القبر وعذابه [1]، لا يُمكن التصديق به إلا بوحي، إمّا آية من كتاب الله، أو حديث نبوي صحيح صريح، فهل يوجد أدلَّة عليه في الكتاب والسُّنة؟ هذا ما سنبحث عنه في هذه الرسالة..

نسأل الله العلي العظيم التوفيق والسداد، والهدى والرشاد، وأن يُصلح قلوب وعقول كل العباد، ويُحببهم به، وبدينه وشرعه وهديه وأحكامه وتشريعاته، إنه هو الولي الحميد.

أبو عبد الرحمن
إبراهيم إسماعيل غانم
10 المحرم 1440 هـ / 20-9-2018م
Ghanim500@gmail.com

[1] ولأنه غيب فإنه لا يُمكن أن يُرى في الدنيا، وإلا أصبح مشاهدة وليس غيبًا، فلا يصح قطعًا ما يرويه الناس من رؤية قبر مشتعل بصاحبه، أو أفعى التفت حول ميت في قبره، أو غير ذلك، لأن هذا من علم الغيب.

أولاً القرآن الكريم

القرآن الكريم هو مصدر التشريع الأول في دين الإسلام، وهو منقول إلينا بالتواتر، وكل ما أنزل الله فيه فهو حق وصدق وعدل، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (115)، فهل يوجد في القرآن الكريم ما يدل على أن عذاب القبر حق؟

في الحقيقة لا يوجد في القرآن الكريم آيات صريحة بمعنى: (إن نعيم القبر وعذابه حق) أو (سنُعذبهم في قبورهم)، لكن وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تدل في طياتها على أن عذاب القبر حق، وأن الملائكة تُعَذِّب في القبر من استحق من الظالمين بأمر من الله تعالى، ومن هذه الآيات:

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى الهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (سورة الأنعام: 93، 94).

يُبين ربُّنا تبارك وتعالى في الآية حال الظالمين عندما يغمرهم الموت بسكراته، والملائكة باسطوا أيديهم إليهم ، لكن؛ بماذا تَبْسُطُ إليهم أيدي الملائكة؟ هل ليُطعموهم؟ أم ليسقوهم؟ بل بالعذاب والضرب، كما قال

سبحانه في آية أخرى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (سورة الأنفال: 50).

ثم تقول -الملائكة- مُوَبِّخةً لهم ومؤكدة عجزهم: ﴿أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ﴾ من هذا العذاب، وخلصوها مما هي فيه، إن كانت لكم قدرة على ذلك، فالأمر هنا للتوبيخ والتعجيز، كما يقول الآلوسي.

ثم تقول الملائكة للظالمين: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فالحديث لا زال للملائكة موجها للظالمين عندما يغمرهم الموت. وكلمة "اليوم" هنا مراد بها يوم الموت، كما يدل على ذلك السياق ، وعلى هذا، فالعذاب الموصوف بالهون أي الهوان هنا، هو عذاب القبر.

وَلَمَّا كان الهوان ملازمًا لهذا العذاب كل الملازمة، متمكنًا منه كل التمكن، جاء التعبير عنه بالإضافة هكذا (عذاب الهون) وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة.

وبعده يُخاطبهم ربنا فيقول: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ﴾ فما من شك في أن هذا المجيء، هو القدوم على الله تعالى بعد الموت، وهو الكائن في القبر، وبذلك يلتئم السياق، وتتسلسل الأحداث، وتكتمل الصورة في هذا المشهد، ملائكة يقبضون أرواح الظالمين، يعذبونهم ويوبخونهم، فيعاينوا واقعًا ما علموه من قبل خبرًا، فيقيم الله عليهم بذلك الحجة، ويقول في إظهار حجته عليهم بما عاينوه من واقع سبق لهم أن أنكروه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

✍ وجه الدلالة في النص الكريم على عذاب القبر ، أنَّ الكلام في النص الكريم صريح الدلالة على عذاب القبر، لأن الكلام فيه عن موقف الظالمين عندما يغمرهم الموت بقبض أرواحهم عن طريق ملك الموت، لتتولى ملائكة العذاب بعد ذلك تعذيبهم في قبورهم، كما يدل عليه قوله ﴿بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ﴾ وقوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ في ضوء ما مر بيانه من أنَّ هذا اليوم، هو يوم الموت، لأن السياق لا يلتئم صريحًا إلا بهذا.

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (51) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (52)﴾ (سورة الأنفال).

فالآيات -مثل التي سبقت- تخاطب كل من يصلح للخطاب، مخبرة إياهم عن حال الكفار، عندما تقبض الملائكة أرواحهم، بأنهم يضربونهم، ويزجرونهم، ويتوعدونهم بعذاب الحريق، يوم القيامة، الذي هو جزاؤهم اللائق بهم، لما قدموه من أعمال غير صالحة، ومبينة لهم أنَّ حالهم في هذا كحال آل فرعون وغيرهم، الذين سبقوهم في الكفر فكان العذاب مصيرهم.

✍ وجه الدلالة في النص الكريم على عذاب القبر؛ أن هذه الآيات صريحة في الدلالة على أنَّ ما سبق ذكره من ضرب الملائكة لهم وتوعدهم

بعذاب الحريق هو كائن عند الموت لقوله ﴿إِذْ يَتَوَفَّى...﴾ وهذا معناه أن ما لحقهم من عذاب الضرب هو حال الوفاة، وهو ممتدٌّ أيضًا ومتجدد لما أفاده التعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

ثم تذكر الآيات أن ما حاق بهم، هو ما حاق بآل فرعون عندما كفروا بآيات الله. وإنَّ مما حاق بآل فرعون، عذابهم في قبورهم، بعرضهم على النار غدوًا وعشيًا، كما جاء ذلك صريحًا، في قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (سورة غافر: 46)، وسنتحدث عن هذه الآية قريبًا.

الدليل الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة: 101).

وردت هذه الآية في سياقٍ يُصنِّف الناس حسب أعمالهم، بقصد التمييز بين أهل الحق وأهل النفاق، لتبصير المؤمنين بأهل النفاق، بالكشف عن حالهم، وبيان أنَّ الله مطَّلعٌ على أحوالهم، ومجازيهم على أعمالهم.

ومن هذه الأصناف: صنف المنافقين الذين اتخذوا النفاق عادة لهم وسجية، فإنهم مهما حاولوا إخفاء نفاقهم عنك يا رسول الله، فإنَّه لا يخفى على الله تعالى، ولذا فقد توعدهم بالعذاب في كل المراحل التي يتقلبون فيها وبينها، أي: في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة.

وذلك هو قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: "فَهَذَا الْعَذَابُ الْأَوَّلُ حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَالْعَذَابُ الثَّانِي عَذَابُ الْقَبْرِ"[1].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هذه واضحة كوضوح الشمس في الجلاء، والبدر في الظلماء، في أنها تعني عذاب الآخرة.

✍ وجه الدلالة في الآية؛ أنها صَرَّحت بتعذيب الله المنافقينَ في مراحل ثلاث، اثنتان مذكورتان في قوله ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ والثالثة في قوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ ولما كانت هذه الثالثة معلومةً على جهة اليقين، أنها الكائنة يوم القيامة لأنها آخر المراحل، كما يدل على ذلك التعبير بـ "ثم" الدالة على الترتيب والتراخي، ولأن العذاب فيها قد وصف بأنه " عظيم" وعادة القرآن ألا يوصف بهذا إلا عذاب الآخرة، فقد بقي مرحلتان هما سابقتان على هذه الأخيرة، وليس ذلك إلا: العذاب في الدنيا، والعذاب في القبر أي في البرزخ، كما قال حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

☜ ومن يبغي قولاً أصرح من هذا في الإخبار عن عذاب القبر؟

❀ الدليل الرابع:

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة إبراهيم: 27).

تخبر هذه الآية الكريمة بأن الله يعين عباده الصالحين ويثبتهم بالقول الحق في الدنيا، إن عرض لهم ما يعمل على زحزحتم عنه، ويعينهم ويثبتهم به

[1] انظر تفسير ابن كثير ج 4 ص 205، والأثر أخرجه الطبري ج11 ص 644، وابن أبي حاتم (10301).

في القبر أيضا، عندما يسأله الملكان: من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن الرجل الذي بعث فيكم ؟

والحقيقة ليس في ظاهر قوله تعالى: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ دليل على عذاب القبر، لكن يصرف هذا المعنى قرينة واضحة جدًا من كلام المصطفى ﷺ، حيث أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهم، عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال في هذه الآية: «**نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ** ﷺ، **فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾»[1].

وقد يسأل سائل: لماذا نُسبت الحياة في القبر إلى الدار الآخرة مع أنها ليست منها؟ أقول: بل القبر من الآخرة، وهذا ما أخبرنا به النبي ﷺ عندما قال: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ**»[2]، فالبرزخ مرحلة مؤدية إلى الآخرة، وخطوة في طريق السير إليها.

وإذا كان اللهُ تعالى يمُدُّ عباده الصالحين بمدد من عنده، ويعينهم على الثبات عند المحن في الدنيا، وعند السؤال في القبر، فإن الظالمين لا معين لهم ولا نصير، فلا يثبتون على الحق كالمؤمنين، بل يضلهم الله عنه، لضلالهم عن ربهم في دار العمل.

✍ وجه الدلالة في الآية على عذاب القبر؛ تصريح هذه الآية بأن الله يثبت المؤمنين بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وكذلك في الآخرة أي في القبر

---

[1] أخرجه مسلم (5226)، والنسائي (2056)، وابن ماجة (4269)، والبخاري بنحوه رقم (1369) وأحمد (18482).

[2] أخرجه ابن ماجة (4267) والترمذي (2308) وأحمد (454) وسيأتي تخريجه مفصلاً بإذن الله تعالى.

الذي هو الخطوة الأولى في الطريق إلى الآخرة، ولما كانت الدار الآخرة دار جزاء وليست دار سؤال ولا تثبيت، وكانت السنة الصحيحة قد دلت على أن السؤال والتثبيت إنما هو في القبر، فقد لزم القول بأن المراد بالآخرة هنا الحياة في القبر، وأنّ التثبيت فيها هو التثبيت عند سؤال الملكين، وما يتبع ذلك من نعيم الاطمئنان إلى رضوان الله.

وفي مقابل ذلك، فإنَّ إضلال الظالمين، هو زيغهم عن الحق في الدنيا، وعن إجابة الملائكة في القبر، فلا ينجون من فتنة السؤال، فيلحقهم ما هم أهله من سوء ما ينتظرهم من عذاب الله يوم القيامة، إضافة إلى ما تقوم به ملائكة العذاب من ضرب وجوههم وأدبارهم عند موتهم وبعده، كما صرحت بذلك آيات أخرى.

الدليل الخامس:

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (سورة المؤمنون).

هذه الآية تُبيّن لنا الآيات حال العبد العاصي عند معاينة الموت وتيقنه، وهي الحالة التي يدرك العبد فيها أنّ صلته بالدنيا قد انقطعت بلا طمع في العودة إليها، وهو ما يعرف بوقت الغرغرة، لكن مع انقطاع طمعه وهول ما رأى وعاين ما ينتظره من عذاب الله، يدعو ربه أن يعيده إلى الدنيا ليتدارك ما فاته، فيقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ أي مُلِحًّا على الله في طلب الرجوع إلى الدنيا مكررًا هذا الدعاء، لكن هيهات هيهات، إذ يأتيه الجواب بالرفض، ﴿كَلا﴾

ليخلد في حياته البرزخية إلى يوم البعث.

والبرزخ هو الحجاب الحاجز بين شيئين، ومرادٌ به هنا الحياة في القبر، لأنها حياة حاجزة ما بين الدنيا والآخرة.

وقوله ﴿وَمِن وَرَائِهِم﴾ أي: أمامهم، لأن كلمة وراء من ألفاظ الأضداد التي تأتي بمعنى وضده، فهي تحتمل الأمام والخلف، وهي هنا بمعنى الأمام، أي ويستقبلهم برزخ يمكثون فيه إلى يوم البعث[1].

✍ ووجه الدلالة أن في النص الكريم تصريح بأنَّ نعيم القبر وعذابه كائن واقع، وأنَّ العبد العاصي يعاينه عند الموت وذلك من وجهين:

أحدهما- قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ فهو نص في معاينة هذا العذاب، إذ لو أنه لم ير ما يسوؤه، وهو العذاب، فلماذا يدعو ربه: أن يعيده إلى الدار الدنيا، أي ليتدارك ما فاته من الطاعات التي تنجيه من هول ما عاين.

وثانيهما- قوله: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فظاهرها منه، يحمل تلويحًا لهذا لعاصي وأمثاله، بما سيكون في هذا البرزخ، من شدة وكرب، وهو ما يحدث في القبر من أحوال.

ومثل ذلك أن تقول لمن أنت حريص عليه على سبيل النصح والتحذير: لا تهلك مالك، فإن وراءك أيام طويلة. ففي قولك هذا تلويح بشدَّة هذه الأيام، وأنَّه إذا ما أتلف ماله، ضاقت معيشته فيها، ونصح له بأن يعد العُدَّة

[1] ومن الآيات التي أتت فيها كلمة "وراء" بمعنى أمام، قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (سورة الكهف: 79)، فقوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءهُم﴾ أي أمامهم، إذ لو كان الملك خلفهم، فقد نجوا منه.

لمواجهتها، وهذا كما في الحديث: «مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَرَأَيْتَ أَمْرًا لابُدَّ لَكَ مِنْ طَلَبِهِ فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ وَدَعْهُمْ وَعَوَامَّهُمْ، فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ صَبْرٌ فِيهِنَّ كَقَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ»[1]، أي: إنَّ أمامكم أيامًا صعبة شاقة، مليئة بالفتن، التي تفتن المؤمن عن دينه، والصبر على ذلك صعب مؤلم كالذي يصبر على الجمر في يده.

☜ **تنويه مهم** : وردت في القرآن الكريم آيات تُبيّن أنَّ الكفار والظلمة يتمنون الرجوع إلى الدنيا في كل مراحل الآخرة، فهذه الآية تُبيّن أنهم يتمنون ذلك عند موتهم، والثانية يتمنونه عند العرض على الله والحساب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12)﴾ (السجدة)، والثالثة يتمنون الرجوع وهم في النار، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)﴾ (فاطر)، وبهذا تكتمل المراحل الثلاثة..

الدليل السادس:

قال تعالى : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ

[1] أخرجه الحاكم في مستدركه (7912) في كتاب الرقاق، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي، وأخرجه البغوي في شرح السُّنة، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (4156).

(45) ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر).

يبين لنا النَّص الكريم أن آل فرعون قد حاق بهم سوء العذاب نتيجة كفرهم ومعاداتهم لمن آمن بالله، بعد أن أنجاه الله منهم، ووقاه مكرهم.

ثم بينت الآية التالية أنَّ عذابهم هذا الذي حاق بهم نوعان:

الأوّل- في القبر، وهو أنَّهم يُعْرَضُون على النار مرتين يوميًا، إحداهما في الصباح والأخرى في المساء.وهو ما يفيده قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾.

والثاني- عذاب الآخرة، وهو العذاب الأكبر، وهو ما يفيده قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

✍ وجه الدلالة في الآية أنها دَلَّت بشكل واضح على أنَّ آل فرعون يعذبون في قبورهم بعرضهم على النار غدوًا وعشيًا، وهذا العرض لا يكون إلا في القبر، لأنَّه قال بعد ذلك: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ فلم يكن مفر من فهم التعذيب بالعرض على النار إلا على أنَّه في القبر، وإذا ثبت ذلك في حق آل فرعون، ثبت في حق غيرهم أيضًا ممن مضوا على طريقتهم.

وقدجاء في السنة الصحيحة أنَّ هذا العرض عام لكل الخلائق، حيث أخرج البخاري في معنى قوله تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ بسنده المتصل، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أَلا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى

يَبْعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

☜ **تنويه مهم**: قد يسأل سائل أو يقول قائل: إنَّ الشيخ محمد متولي الشعراوي يُنكر عذاب القبر، فما ردكم عليه؟

أولاً: الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى إنسان، مثله مثل أيّ إنسان، يُخطئ ويُصيب، و«**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[2] كما قال رسول الله ﷺ، فهو ليس حُجة على الدين، وإنما الدين هو حجة عليه.

ثانيًا: لم يُنكر الشيخ رحمه الله تعالى عذاب القبر، وإنما يُنكره على الجسد الدنيوي، وهذا ما يقوله جُل العلماء، فلو ظهر العذاب على الجسد في الدنيا لما كان غيبًا، فإذا أردت أن تعلم رأي الشيخ فاستمع إليه، ولا تنخدع بما يقوله الأفاكون الذين يجتزئون من الكلام ما يُوافق أهواءهم، ويُخفون بقية الكلام، فاقرأ -إن شئتَ- ما كتبه في تفسير هذه الآية، حيث يقول: "فقوله : ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: نَزَلَ بهم قبل الحساب، وقبل الآخرة، أمَّا قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾، فالعرض على النار إذن ليس في الآخرة لأنه قال بعدها: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

عندنا عَرْضٌ ودخول، العرض على النار قبل دخولها، فهو إمَّا في الدنيا أو في البرزخ، وما داموا لم يُعرَضوا على النار في الدنيا فلم يَبْقَ إلا حياةُ البرزخ

---

(1) أخرجه البخاري (1379) باب الميت يُعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم (2866)، وأحمد (5926) والنسائي (2070) واللفظ له، وغيرهم.

(2) أخرجه الترمذي (2449)، وأحمد (13049)، وابن أبي شيبة (34216)، انظر: صحيح الجامع: (4515).

يُعرَضُون فيها على النار إلى قيام الساعة، وهذا ما نسميه عذاب القبر، ثم يأتي دخولهم النارَ بعد البعث والحساب.

وهكذا جمع الله على المسرفين عذاباً في الدنيا، وعذاباً في البرزِخ، وعذاباً أشدّ وأنكى في الآخرة، وكلمة ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ تثبت أيضاً عذابَ القبر، ففيه عذابٌ شديدٌ لكنَّ عذابَ الآخرة أشدّ، عافانا الله وإياكم من العذاب"[1]اهـ.

والله أعلى وأعلم..



[1] تفسير الشعراوي ج 21 ص 13392.

ثانيًا السُّنَّة النبوية المشرفة

تمهيد:

إنَّ الإسلامَ مبنيٌّ على أساسين: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما جاء في القرآن الكريم لا يمكن إنكاره، وما صح عن النبي ﷺ لا ينبغي إنكاره أيضًا، اسمع إلى حبيبنا ﷺ وهو يُخبرنا عن قومٍ سيأتون بعده، فيقول فيما صح عنه: «**أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ** . »، وفي رواية: «**لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ**»[1].

ثم لا شك أنك لاحظت -أيها القارئ الغالي- لفظه ﷺ: (ومثله معه يعني مثله: يعني في التشريع، وأنه وحي من الله لا من عند النبي ﷺ، ولفظ: (معه) أي: مُتلازمان في القبول والتطبيق العملي.

وهذا ذم واضح، وإنكار شديد، لفعل من يقول: نعتمد على ما جاء في القرآن ولا نأخذ بالسُّنة، أو منكري السّنة، أو من يُسمون أنفسهم بالقرآنيين

---

[1] تكملة الحديث: «**ألا لا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِيِّ، وَلا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ، ألا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ** » أخرجه أبو داود (**4604**)، والإمام احمد (**17174**) وقال محققه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجُرَشي، وهو ثقة. كما أخرجه ابن زنجويه في "الأموال" (**620**)، والطبراني في "الكبير" ج **20** ص (**668**) و (**670**)، والبيهقي في "دلائل النبوة" ج**6** ص**549**، والخطيب في "الفقيه والمتفقه" ج**1** ص**89**، وابنُ عبد البر في "التمهيد" ج**1** ص**149-150**. والطحاوي في "شرح معاني الآثار" **4**ج ص**209**، وابن حبان (**12**)، والدارقطني ج**4** ص**287**، والبيهقي في "السنن" ج**9** ص**332**، وصححه الألباني في تحقيقه لأبي داود.

أو "أهل القرآن" فينتسبون للقرآن زورًا وبهتانًا وهم لا يعرفون عن القرآن ولا من القرآن شيء[1]، فلا ينبغي أن نغتر بهم وبخُرافاتهم.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي -رَحِمَهُ اللهُ-: "كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنزلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النِّسَاءِ: 105)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النَّحْلِ: 44)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النَّحْلِ: 64)، وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» يَعْنِي: السُّنَّةَ. وَالسُّنَّةُ أَيْضًا تَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ، كَمَا يَنْزِلُ الْقُرْآنُ؛ إِلا أَنَّهَا لا تُتْلَى كَمَا يُتْلَى الْقُرْآنُ"[2].

وقال الزركشي: "وَنَصَّ الشَّافِعِيُّ فِي "الرِّسَالَةِ" عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ مُنَزَّلَةٌ كَالْقُرْآنِ مُحْتَجًّا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ (الأحزاب: 34)، فَذَكَرَ السُّنَّةَ بِلَفْظِ التِّلاوَةِ كَالْقُرْآنِ، وَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ آتَاهُ مَعَ الْكِتَابِ غَيْرَ الْكِتَابِ، وَهُوَ مَا سَنَّهُ عَلَى لِسَانِهِ مِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ فِيهِ"[3].

---

[1] يعتبر هذا الحديث من دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ حيث ظهر بعد عهد الرسالة جماعات طعنوا في السنة النبوية وزعموا الأخذ بالقرآن الكريم فقط وقد بدأت ظاهرة إنكار السنة على أيدي الخوارج وبعض الشيعة والمعتزلة، وظهرت في العصور المتأخرة طوائف تنكر السنة النبوية وتدعو إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم... وأعجب أمر هؤلاء أنهم يُنْسَبون إلى القرآن المجيد، فهم يحبون أن يسموا أنفسهم "القرآنيون" أو"أهل القرآن" نسبة إلى القرآن كتاب الله المجيد ظلماً وزوراً. وقد اختاروا هذه النسبة إيهاماً للناس بأنهم ملتزمون بكتاب الله القرآن. انظر "شبهات القرآنيين حول السنة النبوية" ص 2-3.

[2] انظر تفسير ابن كثير، ط. دار طيبة، ج 1 ص 7.

[3] انظر "البحر المحيط في أصول الفقه" لأبي عبد الله الزركشي (المتوفى: 794هـ)، ج 6 ص 7، دار الكتبي.

فلا يحق لأحد أن يقول: أنا أعمل بما جاء في القرآن الكريم فقط، ولا أعمل بالأحاديث النبوية، فالسُّنَّة فيها تفصيل وإيضاح وتوضيح وتفسير لكثير مما في القرآن من الآيات والأحكام، فعلى سبيل المثال لا الحصر: أمرنا الله تبارك وتعالى بإقامة الصلاة، فكيف نُقيمها؟ هل يجوز لنا أن نُصلي الظهر سبع ركعات فرض وركعتان سُنة، بحُجّة أن القرآن لم يُفصل ذلك؟ بل من هو الذي أخبرنا أن الصلوات خمس أصلاً؟ هل يجوز أن نكتفي بثلاث منها؟ ثم هل يجوز أن نقرأ سورة الكافرون بدل التشهد والصلاة الإبراهيمية؟ أو هل يجوز أن نُصلي عُراة، بحجة أن القرآن لم يأمر بستر العورة في الصلاة؟ أو أن نُسَلِّم على اليمين والشمال بقولنا: (الله يعطيهم العافية الملائكة)؟ أو نُغني شعرًا قبل التسليم؟ قطعًا لا، فالقرآن لم يُعَلِّمنا هذا، بل أوضحته لنا السُّنة الشريفة، وبيَّنت تفاصيله.

فالقرآن الكريم أمرنا بإقامة الصَّلاة، بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ عشرات المرات، فكيف نُقيمها؟ كيف نؤديها؟ ألا تعلم أن الرسول ﷺ أخبرنا أنَّ تسوية الصفوف في صلاة الجماعة من إقامة الصلاة؟ فقال كما في الصحيحين: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ»، وهو الذي أمرنا بقوله: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» كما أخرج الستة في كتبهم.

ومن العجيب أن أحدهم يقول: أمرنا الله بإقامة الصلاة، فيجب إقامتها، أما عن الكيفية فلم توضّح في القرآن، لذا فأنت بالخيار، صلي كيفما شئت، واقرأ من القرآن بما شئت، سواء بالفاتحة أ بغيرها، وقد رأيته وهو يُصلي يُحرّك رأسه كحركة اليهود في صلاتهم، وأنا لا أدري من أين استخرج هذه الحركة

من القرآن الكريم.. وقال: إن صلاة الجماعة لا تجوز إلا يوم الجمعة فقط، فوا أسفاه على عقول ضُيّعوها..

فإذا كانت الصلاة وأحكامها وإقامتها لا نعرفها إلا بالسُّنة، فما بالكم بمقادير الزكاة، وأحكام السحور والإفطار، وأحكام العيد، والحج وفرائضه وواجباته وسُننه، والزواج والطلاق، والاقتصاد الإسلامي، والجهاد، والتفاصيل الفقهية للعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والصفات، كلها بيّنتها ووضحتها السُّنة، فإذا ثبت في السُّنة الصحيحة أحاديث في إثبات عذاب القبر فإن هذا أمر واجب التصديق، ولا ينبغي لمسلم أن يرفضه أو يُنكره، لأي سبب كان، كما أنه لا يستطيع أن يُنكر أن عدد ركعات الصلاة أو عدد الأشواط في الطواف، أو تحديد منطقة عرفات للوقوف في يوم عرفة.

فدعونا نبحث في كُتب السُّنة النبوية، هل فيها ما يدل على وُجود عذاب القبر؟؟

الأحاديث الواردة في عذاب القبر

لو تصفحنا المصنفات الحديثية لوجدنا فيها أحاديث كثيرة جدًا، صحيحة وصريحة أشدَّ الصَّراحة على أنَّ نعيم القبر وعذابه حق، بل أجمع علماء الأمة على تواتر أحاديث " سؤال الملكين في القبر " عن أكثر من ثمانية وعشرين صحابيًا، وأحاديث "القبر ونعيمه وعذابه" عن اثنين وثلاثين صحابيًا عدَّهم الكتاني في كتابه: "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" وقال: "وأنها بلغت في العد سبعين حديثاً"[1].

بل إنَّ الإمام البيهقي رحمه الله تعالى جمعَ في كتابه "إثبات عذاب القبر" (240) خبرًا في هذا الشأن، والكتاب منشور من قبل دار الفرقان، عمان- الأردن، بتحقيق: د. شرف محمود القضاة.

وبما أنَّ هذه الأحاديث بلغت حد التواتر، فإنَّ من لم يؤمن بما دَلَّت عليه من إثبات عذاب القبر فهو على خطر عظيم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به، ولا نتكلم عن كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكن قد يأتي بما تحار فيه العقول"[2]اهـ.

وقال في موضع آخر: "واعلم أنَّ عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من

[1] نظم المتناثر من الحديث المتواتر، محمد بن أبي الفيض الكتاني (المتوفى: 1345هـ)، دار الكتب السلفية، ص 123.
[2] شرح العقيدة الطحاوية ص 276.

مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وما ورد من إجلاسه، واختلاف أضلاعه ونحو ذلك، فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير".

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله: فَالْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ وَالشَّفَاعَةِ وَالْحَوْضِ وَرُؤْيَةِ الرَّبِّ تَعَالَى وَتَكْلِيمِهِ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... فَإِنَّهُ مَا مِنْ بَابٍ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ ألا وَقَدْ تَوَاتَرَ فِيهِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَوَاتُرًا مَعْنَوِيًّا لِنَقْلِ ذَلِكَ عَنْهُ بِعِبَارَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ يَمْتَنِعُ فِي مِثْلِهَا فِي الْعَادَةِ التَّوَاطُؤُ عَلَى الْكَذِبِ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا، وَإِذَا كَانَتِ الْعَادَةُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ الْمَعْهُودَةُ مِنْ حَالِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَخَلَفِهَا تَمْنَعُ التَّوَاطُؤَ عَلَى الِاتِّفَاقِ عَلَى الْكَذِبِ فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ، وَيَمْتَنِعُ فِي الْعَادَةِ وُقُوعُ الْغَلَطِ فِيهَا، أَفَادَتِ الْعِلْمَ وَالْيَقِينَ"[1].

وقال: "أما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ... وفي شرح الإحياء أيضاً أنَّه تواترت الأحاديث بفتنة القبر ثم عد خمسة وعشرين من الصحابة ممن رواها، وذكر ألفاظهم ومن خرجها فانظره في الكلام على سؤال منكر ونكير، وقال القلشاني في شرح الرسالة: بلغت الأخبار في فتنة القبر وعذابه مبلغ التواتر"[2]اهـ.

---

[1] مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: **751**هـ)، اختصره: شمس الدين ابن الموصلي (المتوفى: **774**هـ)، دار الحديث، القاهرة، ص **548**.

[2] كتاب "الروح" لابن قيم الجوزية (المتوفى: **751**هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، صفحة **52**.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه "أهوال القبور": "وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في عذاب القبر".

قال الإمام أبو حنيفة النعمان: "سؤال منكر ونكير حق كائن في القبر، وإعادة الروح إلى جسد العبد في قبره حق، وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المؤمنين"، وقال: "من قال: لا أعرف عذاب القبر، فهو من الطائفة الجهمية الهالكة، قال الله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبَهُم مَرَّتَينِ﴾... يعني: عذاب القبر"، وقال: "وَنُقِرُّ بأنَّ عذاب القبر كائن لا محالة، وسؤال منكر ونكير حق، لورود الأحاديث"[1].أهـ

وقال الإمام أحمد: "وعذاب القبر حق، يسأل العبد عن دينه ونبيه وعن الجنة والنار، ومنكر ونكير حق، وهما فتانا القبر نسأل الله الثبات". وقال: "عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال أو مُضِل"، وسأله حنبل عنه، فقال: "هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها كما جاء عن النبي ﷺ إسناد جيد أقررنا به، إذا لم نقر بما جاء به رسول الله ﷺ ورفعناه ورددناه رددنا على الله أمره، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ (الحشر:7)، وقال أحمد بن القاسم: قلت: يا أبا عبد الله تقر بمنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر! فقال: سبحان الله!! نعم نُقِرّ بذلك ونقوله"[2]. أهـ

وهناك عشرات الأحاديث في هذا الموضوع، حيث زادت عن سبعين حديثًا صحيحًا، وبناءً على ما سبق، فإني سوف أذكر بعض هذه الأحاديث

[1] انظر: الفقه الأبسط ص: 48، والفقه الأكبر ص: 306، والوصية ص (75).

[2] انظر: طبقات الحنابلة ج 1 ص 419 دار المعرفة، وتاريخ دمشق (ج21 ص 311).

الصحيحة الصريحة التي تُثبت أنَّ عذاب القبر حق، وأن فتنته صدق، وقد قسمتها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أحاديث تُثبت وجود عذاب القبر.

الثاني: أسباب عذاب القبر.

الثالث: مُنجيات من عذاب القبر.

ثم أذكر بعض أدلَّة المُنكرين لعذاب القبر، وبيان ضعفها ووهنها.

وبعدها أذكر بعض الأسئلة المُثارة، ومحاولة الإجابة عنها.

والله هو الموفق والهادي إلى الصراط المستقيم.

القسم الأول أحاديث تُثبت وجود عذاب القبر

الحديث الأول:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ: «**نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ**»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي صَلَاةً بَعْدُ أَلَا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ[1]، وقوله ﷺ: **(حَقّ)**.. كلمة واحدة مكونة من حرفين اثنين لا ثالث لهما، نَسَفَ بها رسول الله ﷺ كل أقوال من يُنكرون ما يحصل في القبر من أحوال، وهدَّ بها كل ما بنوه من فلسفات، وما أظن أن حديثًا أصرح من هذا في إثباته.

الحديث الثاني:

عَنْ هَانِئٍ، مَوْلَى عُثْمَانَ، قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**»، قَالَ عثمان: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ أَلا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**»[2]. هذا حديث

---

[1] أخرجه البخاري في باب ما جاء في عذاب القبر (1372)، والإمام أحمد في مسنده (24520) و(25419)، وأخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (874)، والنسائي في "المجتبى" (1308) وفي "الكبرى" (1231)، وأخرجه الطيالسي (1411)، وابن راهويه (1476)، والبيهقي في "الاعتقاد والهداية" ص149، وفي "إثبات عذاب القبر" (175) و(176) من طرق عن شعبة، بنحوه. وأخرجه هنَّاد في "الزهد" (346)، ومسلم (586) (126)، والآجري في "الشريعة" ص 359، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (173).

[2] أخرجه الترمذي (2308), وابن ماجة (4267), وأحمد (454)، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. انظر صَحِيح الْجَامِع: (5623)، وصَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: (3550).

آخر صريح صحيح، لا جدال في معناه، بيّن واضح جليّ، نسأل الله العظيم أن يُفهمنا، ويربط على قلوبنا، ويُثبتنا على الحق.

الحديث الثالث:

عن عُرْوَة بْنُ الزُّبَيْرِ رحمه الله، أَنَّهُ سَمِعَ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ﭫ تَقُولُ: "قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا فَذَكَرَ فِتْنَةَ القَبْرِ الَّتِي يَفْتَتِنُ فِيهَا المَرْءُ، فَلَمَّا ذَكَرَ ذَلِكَ ضَجَّ المُسْلِمُونَ ضَجَّةً حَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَفْهَمَ كَلامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا سَكَنَتْ ضَجَّتُهُمْ قُلْتُ لِرَجُلٍ قَرِيبٍ مِنِّي: أَيْ بَارَكَ اللهُ لَكَ، مَاذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي آخِرِ قَوْلِهِ؟ قَالَ: «**قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**»[1].

وهذا الحديث لا يُثبت أن عذاب القبر حق فقط، بل يوضح لنا عِظَم هذه الفتنة، التي تُقارب في أهميتها فتنة المسيح الدجال، التي هي أكبر فتنة تمر على الأرض.

الحديث الرابع:

دعاء النبي ﷺ للميت، فهذا عَوْف بْنَ مَالِكٍ ﭬ -وهو شاهد عيان- يقول: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ،**

[1] أخرجه البخاري (**1373**) مختصرًا، والنسائي (**2062**) واللفظ له، انظر: مشكاة المصابيح (**135**).

وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ-» وفي رواية: «وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ»، قَالَ: «حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ»[1].

كم خطًا يجب أن نضع تحت قوله ﷺ «وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» وقوله: «وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ» لأجل أن يفهم المتحذلقون؟ وحتى يُدرك المتفيهقون؟ أو يرعوي الأفاكون؟

الحديث الخامس:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ يَهُودِيَّة دَخلَت عَلَيْهَا فَاسْتَوْهَبَتْهَا شَيْئًا، فَوَهَبَتْ لَهَا عَائِشَةُ، فَقَالَتْ: أَجَارَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ لَيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ»، وفي رواية: قالت: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِلْقَبْرِ عَذَابًا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّهُمْ لَيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ»[2].

هل يستطيع أحد أن يحرف هذا الحديث عن مقصده؟ أو يُغيّر معناه إلى معنى آخر؟ كلا؛ لأنه مُؤكَّد بثلاثة أنواع من التوكيدات اللفظية، الحرف (إنَّ) وهو حرف توكيد ونصب، والضمير (هم) وحرف اللام التوكيدية.

الحديث السادس:

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ خِصَالًا، يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْقَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى

---

(1) أخرجه مسلم (35-963)، وابن أبي شيبة (11353) وغيرهما.

(2) أخرجه النسائي (2066)، وأحمد (24178) و(25706)، وابن أبي شيبة في مصنفه (12025)، وابن راهويه (1414)، وابن حبان (3115)، انظر صَحِيح الجَامِع: (1965).

حُلَّةَ الإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»[1].

كيف يُجازى الشهيد بأن (يُجَار مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) إذا لم يكن عذاب القبر موجودًا؟ اللَّهُمَّ احينا سُعداء، وأمِتنا شُهداء.. يا الله..

الحديث السابع:

أحاديث سماع النبي ﷺ لعذاب القبر، فقد ورد في عدة أحاديث صحيحة أن النبي ﷺ قد خَصَّه رَبُّهُ تبارك وتعالى بسماع عذابهم، فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»[2].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ عُودًا رَطْبًا، فَكَسَرَهُ بِاثْنَتَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرٍ، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»[3].

فهل يسمع النبي ﷺ شيئًا غير موجود؟ بل موجود، وسمعهم النبي كما سمع صوتَه ﷺ الأموات، كما في الصحيحين أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: اطَّلَعَ

---

[1] أخرجه سعيد بن منصور (2562)، والترمذي (1663)، وابن ماجة (2799)، وغيرهم، وصححه الألباني.

[2] أخرجه البخاري (1375) ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه رقم (2769)، وأحمد (23539)، وغيرهم.

[3] أخرجه البخاري (218) و(1361) و(6052)، ومسلم (111-292)، وغيرهما.

النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَهْلِ القَلِيبِ (قتلى المشركين يوم بدر)، فَقَالَ: «**وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُم حقًّا؟**» فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا؟ فَقَالَ: «**مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لا يُجِيبُونَ**»، وفي رواية: جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**يَا فُلانَ بْنَ فُلانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا**»، قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُكَلِّمُ أَجْسَادًا لا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ**»[1].

الحديث الثامن:

أحاديث الاستعاذة، فقد ثبت في كثير من الأحاديث أنَّ الرسول ﷺ استعاذ من عذاب القبر، وعلَّم أصحابه الاستعاذة منه، فهل يستعيذ الذي لا ينطق عن الهوى، وعلمه شديد القوى، من شيء غير موجود؟

وقد كان ﷺ يستعيذ من عذاب القبر في كثير من أحيانه، ففي صحيح البخاري عن ابْنَة خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ: وَهُوَ «يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»، بل إنَّ ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنه أخبرنا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «**قُولُوا: اللهمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**»[2].

وكان يستعيذ منه في صلاة الكسوف والخسوف، وأمرنا بالاستعاذة منه قبل التسليم في كل صلاة، كما روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ

[1] أخرجه البخاري (1370)، وأبو داود الطيالسي (40)، وأحمد (6145)، وعبد بن حميد (762)، وغيرهم.

[2] انظر صحيح البخاري (1376)، وصحيح مسلم (590).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[1]. حتى أن بعض العلماء جعلوه واجبًا، كما روي أَنَّ طَاوُسًا قَالَ لِابْنِهِ: أَدَعَوْتَ بِهَا فِي صَلاَتِكَ ؟ فَقَالَ: لاَ، قَالَ: " أَعِدْ صَلاَتَكَ "؛ لِأَنَّ طَاوُسًا رَوَاهُ عَنْ ثَلاَثَةٍ، أَوْ أَرْبَعَةٍ -يعني من الصحابة-[2].

وعن ابن مسعود، قال: قالت أم حبيبة، اللّٰهُمَّ بارك لي في زوجي رسول الله ﷺ وأبي أبي سفيان، وأخي معاوية، فقال النبي ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلْتِ الله عَنْ آجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَآثَارٍ مَبْلُوغَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لا يُعَجَّلُ مِنْهَا شَيْءٌ قَبْلَ حِلِّهِ، فَلَوْ سَأَلْتِ الله أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، أَوْ عَذَابِ الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا** – أَوْ قال: **كَانَ أَفْضَلَ** –»[3].

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه أن النبي ﷺ صَلَّى عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنَّ فُلانَ بْنَ فُلانٍ فِي ذِمَّتِكَ، وَحَبْلِ جِوارِك، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[4].

---

[1] أخرجه مسلم (588)، والبخاري (1050).

[2] قال الإمام النووي: "وإن طاوسًا رحمه الله تعالى أمر ابنه حين لم يدع بهذا الدعاء فيها بإعادة الصلاة، هذا كله يدل على تأكيد هذا الدعاء، والتعوذ، والحث الشديد عليه , وظاهر كلام طاوس رحمه الله تعالى أنه حمل الأمر به على الوجوب، فأوجب إعادة الصلاة لفواته , وجمهور العلماء على أنه مستحب، ليس بواجب"اهـ، والأرجح هو قول الجمهور -أي أنه سُنة-، ويُحمل فعل طاوس رحمه الله – إن صح عنه – على توكيد هذا الاستحباب؛ حيث إن أمره بالإعادة كان لابنه في سياق تعليمه، لا لعامة المصلين، فيكون ذلك بالإعادة تغليظًا عليه؛ لئلا يتهاون بتلك الدعوات، فيتركها". "المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم" (ج 2 ص 209) وشرح النووي (ج 5 ص 89).

[3] رواه أبو يعلى الموصلي في مُسنده (5313)، وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده صحيح، وأخرجه ابن حبان (2969)، وصححه الألباني في تحقيقه له.

[4] رواه أحمد (16018) وأبو داود (3202) وابن ماجة (1499)، وصححه الألباني في المشكاة (3074).

فهل يُعقل أن يستعيذ النبي ﷺ ويأمر بالاستعاذة من شيء غير موجود؟

الحديث التاسع:

عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ: إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**»[1].

الحديث العاشر:

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: تُوُفِّيَ رَجُلٌ فَغَسَّلْنَاهُ وَحَنَّطْنَاهُ وَكَفَّنَّاهُ، ثُمَّ أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَخَطَّ خُطًّا، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟**» قُلْنَا: نَعَمْ، دِينَارَانِ، قَالَ: «**صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ**» فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَيْنُهُ عَلَيَّ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: «**هُمَا عَلَيْكَ حَقَّ الْغَرِيمِ، وَبَرِئَ الْمَيِّتُ**» قَالَ: نَعَمْ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ لَقِيَهُ مِنَ الْغَدِ، وَقَالَ: «**مَا فَعَلَ الدِّينَارَانِ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا مَاتَ أَمْسِ، ثُمَّ لَقِيَهُ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ الدِّينَارَانِ؟**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ قَضَيْتُهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الآنَ، بَرَّدْتَ عَلَيْهِ جِلْدَهُ**»[2].

هذه بعض الأحاديث الصحيحة الصريحة التي أثبت النبي ﷺ فيها وجود عذاب القبر، وأنَّه حق، وهذه غيض من فيض، فالأحاديث في ذلك كثيرة.

والله الموفق..

[1] أخرجه أبو داود في سننه (**3221**)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود.

[2] رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (**1778**)، وأحمد (**14536**) وحَسَّن أحمد شاكر إسناده.

القسم الثاني أسباب عذاب القبر

وردت كثير من الأحاديث الصحيحة التي تكشف لنا عن بعض الأعمال التي يُعَذَّب صاحبها في القبر، ولنا أن نتساءل: هل يجهل الرسول ﷺ حقيقة عذاب القبر فيُحذّرنا من أشياء غير موجودة؟ حاشى وكلا.. فهو أصدق خلق الله؛ لأنَّ الله العليم هو الذي علمه، وهو الذي فهمه، وهو الذي أوحى إليه بأن يُخبر الناس بهذا.

وإذا ثبت هذا فإنَّه دليل على وُجود عذاب القبر، إذ لا يُمكن أن يُحذرنا رسول الله ﷺ وهو الناصح الأمين من شيء غير موجود، وبهذا لا يبقى للمُنكرين أيّ حُجة، ولو أنكروا هذا فقد اتهموا رسول الله ﷺ بخداع أمته من خلال تحذيرهم من شيء غير موجود، وحاشاه عليه الصلاة والسلام، وهو الصادق الأمين.

ومن يُعَذّبون في قبرهم إنما يُعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه، فلا يُعذِّب الله روحاً عرفته وأحبته وامتثلت أمره واجتنبت نهيه، ولا بَدَنًا كانت فيه أبدًا؛ فإنَّ عذاب القبر وعذاب الآخرة أثرُ غضبِ الله وسخطه على عبده، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، فَمُستَقِل وَمُسْتَكثِر، وَمُصَدّق وَمُكَذِّب.

ومن أسباب المؤدية إلى عذاب القبر:

1. النميمة. 2. عدم التنزّه من البول[1].

ويدلّ على ذلك: حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النّبيّ ﷺ أنه مَرَّ على قبرين، فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ...** »[2].

3. الغيبة.

ودليله حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: "مَرَّ النَّبِيّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِير**» وَبَكَى، - وَفِيهِ - «**وَمَا يُعَذَّبَانِ ألا فِي الْغِيبَة، وَالْبَوْل**» ولأحمد، والطبراني من حديث يعلى بن شبابة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ مَرَّ عَلَى قَبْر يُعَذَّب صَاحِبه فَقَالَ: «**إِنَّ هَذَا كَانَ يَأْكُل لُحُوم النَّاس**» ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ رَطْبَة.." الحديث[3].

4. الغلول من الغنيمة، وهو: السرقة من مال الغنيمة قبل قسمتها.

ويدلّ على ذلك: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا، وَلا وَرِقًا؛ غَنِمْنَا الْمَتَاعَ، وَالطَّعَامَ، وَالثِّيَابَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَبْدٌ لَهُ... فَلَمَّا نَزَلْنَا

---

[1] فائدة: الاستنزاه من البول يكون بأمرين: الأول: أن يتحرَّز الإنسان من رشاش البول أن يصيبه، أو يصيب ثيابه، وذلك بأن يتبول في مكان رخو من الأرض، ولا يتبول في مكان صلب، فيرجع رذاذ البول على جسمه، أو ثيابه. والثاني: أنه إذا أصابه البول يبادر إلى غسله، وإزالته؛ لأنَّ هذا من الاستنزاه منه.

[2] أخرجه البخاري (**216**)، ومسلم في الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه رقم (**292**).

[3] أخرجه أحمد (**20373**)، والطبراني في الأوسط (**2413**)، والطيالسي (**867**) والبخاري في "التاريخ الكبير" **127/2**، والبزار في "مسنده" (**3636**)، والعقيلي في "الضعفاء" **154/1**، والطبراني في "الأوسط" (**3759**)، وابن عدي في "الكامل" **487/2**، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (**125**)، وقال محقق المُسند: إسناده قوي.

الْوَادِي قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ، فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا، أَخَذَهَا مِنْ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ»..."[1].

5. النياحة على الميت:

فَعَنِ عبد اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ»[2].

وهذا كُله يدل على أنَّ عذاب القبر حق، لا شك فيه، والله تعالى أعلى وأعلم.

❁❁❁

---

[1] أخرجه البخاري، باب غزوة خيبر، حديث (6052)، ومسلم في الإيمان باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، رقم (115).

[2] أخرجه البخاري في باب ما يُكره من النياحة على الميت، رقم (1291) و(1292)، ومسلم في الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، رقم (933).

القسم الثالث مُنجيات من عذاب القبر

ورد في عدد من الأحاديث النبوية الصحيحة في أنَّ بعض الأعمال الصالحة تمنعُ أو تُنجي الإنسان من عذاب القبر، وما دام أنَّ النبي ﷺ وهو الـمُشرِّع الذي لا ينطق عنه الهوى، قد أخبر بذلك، فإن كلامه صدق وحق، إذ كيف يُخبرنا عن النجاة من شيء غير موجود؟ أو شيء لن يحدث؟ فهذا مُحال منه ﷺ، فهو الناصح الأمين، وهو المخلص لأُمته، وهو الصادق المصدوق ﷺ.

أما عن المنجيات من عذاب القبر فهي خمس، جمعها الشاعر بقوله:

ويـأمَـنُ فـي قبرٍ لـهُ من سؤالِهِ *** كما جاء في الأخبار واحدُ خمسةِ

لَـذِيْ في سبيل الله ماتَ مُرابِطًا *** شهيدٌ، وتـالي المُلكِ في كلّ ليلةِ

وذو مرضٍ في البطن يقتُلُهُ، ومَنْ *** لقد مـات فـي يـومٍ وليلةِ جُمْعةِ

1- من مات مُرابِطًا في سبيل الله:

عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأُجري عليه رزقه، وأَمِنَ الفتَّان**».

وفي رواية لأبي داود في «سننه»: «**كلّ الميّت يُختَمُ على عمله إلا المرابِط؛ فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمَّنُ من فَتّان القبر**»، وفي أخرى عند الترمذي: «**رباط يوم في سبيل الله أفضل**» - وربما قال: «خير» - «**من صيام**

شهر وقيامه، ومن مات فيه وقي فتنة القبر، ونُمي له عمله إلى يوم القيامة»[1].

2- الشهيد في سبيل الله:

أخرج النَّسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنَّ رَجُلاً قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يُفتَنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «**كَفَى بِبارِقَةِ السُّيوفِ عَلَى رَأسِهِ فِتنَة**». وعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ**»[2].

3- من داوم على قراءة سورة الملك كلّ ليلة:

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال عن سورة "تبارك المُلك": «**هِيَ المَانِعَةُ، هِيَ المُنْجِيَةُ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»[3].

---

[1] أخرجه مسلمٌ في «صحيحه»: (4938) والترمذي برقم (1665) و(1621) بنحوه وقال: وحديثُ فضالة حديث حسن صحيح، وأحمد (23728)، وأبو داود (2500)، وابن ماجه (2767).

[2] أخرجه النسائي في «المجتبى»: كتاب الجنائز: الشهيد: برقم (2055)، والترمذي في «جامعه»: أبواب فضل الجهاد: باب في ثواب الشهيد: برقم (1663)، ورواه ابن ماجه: أبواب الجهاد: باب فضل الشهادة في سبيل الله: برقم (2799) واللفظ له، وأحمد في «مسنده» برقم (17182)، وصححه الألباني في تحقيق السُّنن، ومحقق المسند.

[3] أخرج الترمذي في «سننه»: أبواب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل سورة الملك: برقم (2890)، والبزار (5300)، وقال الألباني: ضعيف وإنما يصح منه قوله: (هي المانعة).

4- من قتَلَهُ بطنُهُ:

عن سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ يَقْتُلْهُ بَطْنُهُ، فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ**»[1].

5- من مات يوم الجمعة أو ليلتها:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ ألا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ القَبْرِ**»، وفي رواية: «**مَنْ مَاتَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ - أَوْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ - بَرِئَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ**» أَوْ قَالَ: «**وُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ، وَكُتِبَ شَهِيدًا**»[2]...

فهذه الأحاديث وغيرها واضحة لا غموض فيها، يُدركها ويفهمها ويعيها من ألقى السمع وهو شهيد..

[1] وأخرجه أحمد في «المسند» برقم (**18310**)، والنسائي في «المجتبى»: كتاب الجنائز: من قتله بطنه: برقم (**2054**)، وابن أبي شيبة (**868**)، وصححه الألباني في تحقيق النسائي، وكذا محقق المسند.

[2] أخرجه الترمذي في «جامعه»: أبواب الجنائز: باب ما جاء في من يموت يوم الجمعة: برقم (**1074**)، وقال: هذا حديث غريب. قال: وهذا حديث ليس إسناده بمتصل؛ ربيعة بن سيف إنما يروي عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو، ولا نعرف لربيعة بن سيف سماعًا من عبد الله بن عمرو، ورواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (**1514**)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ج **3** ص **155**- **156**، والرواية الثانية عند عبد الرزاق (**5595**)، وحسنه الألباني في تحقيق الترمذي.

آيات وأحاديث استدل بها المُنكرون لعذاب القبر

لقد أنكر عذاب القبر بعض المعتزلة[1]، وبعض الرافضة، والخوارج[2]، واتكأوا على مجموعة من الأدلة النقلية والعقلية، وهي أدلة واهية ضعيفة، ليس فيها أيّ دليل على قولهم، بل إنَّها حُجّة عليهم لا لهم.

❖ فاستدلوا -مثلاً- بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (سورة يس)، وقالوا: كيف يعتبرون حياتهم في القبر رُقادًا وهم كانوا يُنعمون أو يُعذبون؟

وهذا قطعًا ليس فيه دليل لهم، فقول الناس: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ لا يُنافي كونهم يُنعمون أو يُعذبون في القبر، فالآية تتحدث عن قوم

---

[1] هي فرقة عقلانية كلامية فلسفية، تتكون من طوائف من أهل الكلام، الذين خلطوا بين الشرعيات والفلسفة والعقليات في كثير من مسائل العقيدة، وقد خرجت المعتزلة عن السنة والجماعة في مصادر التلقي ومناهج الاستدلال ومنهج تقرير العقيدة وفي أصول الاعتقاد. ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركًا، وقالوا: لفظ القدرية يُطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى؛ احترازًا من وصمة اللقب إذ كان الذم به متفقًا عليه لقول النبي ﷺ: "الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ". انظر: الشهرستاني: الملل والنحل ج 1ص56. وحديث "القدرية مجوس هذه الأمة" رواه أبو داود عن ابن عمر (4691)، وحسنه الألباني، انظر صحيح الجامع (4442).

[2] الخوارج إحدى الفرق الضالة المارقة، ثبت ذلك بالنص والإجماع ؛ فروى البخاري (6934) ومسلم (1068) عن يُسَيْرِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قُلْتُ لِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي الْخَوَارِجِ شَيْئًا ؟ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ - وَأَهْوَى بِيَدِهِ قِبَلَ الْعِرَاقِ - (يَخْرُجُ مِنْهُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الإِسْلامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ)، وروى ابن ماجة (173) قول رَسُول اللَّهِ ﷺ: (الْخَوَارِجُ كِلابُ النَّارِ) وصححه الألباني في تحقيقه. فالخوارج من أهل الأهواء والبدع الخارجين عن منهج أهل السنة والجماعة، ولكننا لا نكفرهم ببدعتهم، شأن أهل الأهواء،اهمن موقع: الإسلام سؤال وحواب.

لم يكونوا من قبل يؤمنون بالبعث، ففي الآية التي قبل قالوا مُستهزئين وساخرين من الذين أمروهم بالمعروف: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (48)﴾، فعندما عاينوه، ورأوا من شدة هول المطلع ما يفوق ما كانوا فيه في قبورهم، ظنوا أنهم كانوا نيامًا، فما كانوا يتوقعوا البعث، لهذا جاء الرد من الله تعالى على تساؤلهم عن طريق الملائكة، أو أن المؤمنين الذين يُبعثون معهم، يقولون لهم: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، فقد صدقكم الأنبياء عندما أخبروكم عن البعث والنشور والحساب، كما صدقوكم أيضًا عندما أخبروكم أن هناك أحوال في القبر.

وأصل "المرقد" في اللغة المضجع، ففي لسان العرب: " والمَرْقَد بالفتح: المضجع"، قال ابن عاشور: " والمَرْقَد: مكان الرقاد، وحقيقة الرقاد: النوم، وأطلقوا الرقاد على الموت والاضجاع في القبور تشبيهاً بحالة الراقد "اه[1]، وبما أن المرقد معناه المنام، والرقد هو النوم فإن هذا يعني أنهم في حياة، فالنائم حيّ.

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا لا ينافي عذابهم في قبورهم، لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدّة كالرقاد"...، و قال الامام الشوكاني: " ظنوا لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول وما داخلهم من الفزع أنهم كانوا نياماً".

وروي في عدد من الآثار -ذكرها الطبري في تفسيره- أنَّهم ينامون نومة بين النفختين: قال الامام السيوطي: "أخرج ابن أبي شيبة و ابن المنذر عن أبي صالح ﷺ، قال: كانوا يرون أنَّ العذاب يُخَفف عنهم ما بين النفختين، فلما كانت النفحة الثانية: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾"[2].

---

(1) لسان العرب - (ج3 ص 183)، وانظر: التحرير والتنوير - (ج 22 ص 245).
(2) الدر المنثور للسيوطي ج7 ص 62.

أو انهم ينامون بعد أن بعد النعيم والعذاب، كما في الأثر المروي عن أبي هريرة ﵁ موقوفًا: "وإنه -أي الميت- إذا دخل القبر يُسأل: من ربك، قال: لا أدري، قال: لا دريت، قال: من نبيك؟ قال: لا أدري، قال: لا دريت، قال: ما دينك؟ قال: لا أدري، قال: لا دريت، ثم يضرب ضربة يسمعه كل دابة إلا الثقلين ثم يقال له: نَم كما ينام المنهوش. قيل: يا أبا هريرة وما المنهوش؟ قال: «الذي تنهشه الدواب والحيات» ثم قال أبو هريرة: « ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه هكذا» وشبك بين أصابعه [1].

وروى هناد في كتاب "الزهد" بسنده عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ قال: « للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة فإذا صيح: يا أهل القبور. يقولون: ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾ قال مجاهد: يرى أنَّ لهم رقدة.

قال: يقول المؤمن لمن جنبه: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾» [2].

وهنا تصريح بذكر نوم المؤمن ونوم الكافر وهذا الخبر إسناده صحيح إلى أبي هريرة ﵁، وهذا الخبر وإنَّ كان موقوفاً إلا أنَّ له حكم الرفع.

وثبت في الـمُقابل نوم الصالحين أيضًا في قبورهم، كما في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قال: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ -أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولانِ: قَدْ كُنَّا

---

[1] أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السُّنَّة رقم (1320).

[2] كتاب "الزهد" رقم: (312).

نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ، هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ: لَهُ نَمْ. فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لا أَدْرِي، فَيَقُولانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلاعُهُ، فَلا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[1].

ألم تلاحظ قوله ﷺ: «**فيقولان: نَمْ نَوْمَةَ العروس**»؟ قال صاحب "تحفة الأحوذي": "وَإِنَّمَا شَبَّهَ نَوْمَهُ بِنَوْمَةِ الْعَرُوسِ لأَنَّهُ يَكُونُ فِي طَيِّبِ الْعَيْشِ"[2]اهـ.

ثم إنَّ الراقد في القبر مثل النائم، فالنائم يرى من الرؤيا ما يسر له، فيتلذذ بها، وينعم بتأثيرها في نفسه الأمر الذي يـأسف له إن هو استيقظ، كما أنه قد يرى الرؤيا مما يكره فيستاء لها ويغتم، الأمر الذي يجعله يحمد من أيقظه، فهذا النعيم أو العذاب في النوم يجري على الروح حقيقة وتتأثر به وهو غير محسوس، ولا مشاهد لنا، ومع ذلك لا ينكره أحد، فكيف ينكر إذا عذاب القبر أو نعيمه وهو نظيره تمامًا؟!

وهذا ما قال به بعض الشيعة أيضًا، فقد جاء في موقع مركز الأبحاث العقائدية الشيعية في تفسير هذه الآية، ما نصّه: " تشير الآية الكريمة إلى عظم أهوال يوم القيامة وشدة فزع ذلك اليوم بحيث أن ما كان من عذاب في

---

(1) أخرجه عبد الرزاق (6703)، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" رقم (67)، وفي "زوائد مسند الحارث" (280).

(2) رواه الترمذي (1071) عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال: حسن غريب، وقال المناوي في "تخريج أحاديث المصابيح" ج 1 ص 119: رجاله رجال مسلم، وحسنه ابن حجر في " تخريج المشكاة" ج1ص115، وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة " (1391).

القبر لا يعدو كونه نوماً ورقوداً مقارنة بذلك الموقف المهول للخطب الشديد على الانسان الذي يجعل المرضع تذهل عن ولدها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى, فلا تنافي بين هذه الآية وبين عذاب القبر الذي أجمع علماء المسلمين بكل فرقهم على وقوعه.

لكن كما أسلفنا ان عظم هول المبعث جعل عذاب القبر عند هؤلاء كأنه نوم ورقود. وهناك احتمال آخر في الآية مصدره روايات التفسير عند أهل السنة وهو أن عذاب القبر لا يتصل بيوم البعث فتكون النومة بعد عذاب القبر وقبل المبعث، فيفزعون من نومهم لما يرونه من فظاعة المحشر وهول يوم القيامة.

وقد تنبه الشيخ الطوسي إلى هذا الإشكال وأجاب عنه في تفسيره بذكر كلا الاحتمالين فقال: "فان قيل: هذا ينافي قول المسلمين الذين يقولون: الكافر يعذب في قبره, لأنه لو كان معذباً لما كان في منام؟ قيل: يحتمل أن يكون العذاب في القبر ولا يتصل إلى يوم البعث, فتكون النومة بين الحالين, ويحتمل لو كان متصلاً أن يكون ذلك عبارة عن عظم ما يشاهدونه ويحضرون فيه يوم القيامة فكأنهم كانوا قبل ذلك في مرقد, وإن كانوا في عذاب لما كان قليلاً بالاضافة إلى الحاضر"[1]"اهـ.

قلتُ (إبراهيم): وكذا في تفسير "مجمع البيان" للطبرسي، عند تفسير هذه الآية.

[1] انظر(التبيان: ج8 ص466 – 467, دار احياء التراث)، نقلاً عن موقع مركز الأبحاث العقائدية الشيعية: http://www.aqaed.com.

❖ واستدلوا بقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28)﴾ (البقرة).

واستدلالهم بهذه الآية باطل، بل هي حُجة عليهم لا لهم، فقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ في أصلاب آبائكم ولم تكونوا شيئًا مذكورًا ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في هذه الدنيا فترة زمنية لا يعلمها إلا الله جل جلاله ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموتة الوحيدة التي ستذوقونها ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في قُبوركم حياة لا يعلمها إلا الله ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة حيث الحشر والحساب والجنة والنار[1]، فحياة البرزخ حياة حقيقية، لكننا لا نعرف كُنهها، ولا نُدرك حقيقتها، إذ هي من الغيب الذي استأثر ربنا بعلمه، كما أسلفنا، فهذه الآية حُجَّة عليهم لا لهم.

❖ واستدلوا بقول الرسول ﷺ: «لا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وهذا الاستدلال يدل على كذبهم، وافترائهم على الله ورسوله، من خلال اقتطاع الجزء الذي يُؤيد قولهم من الحديث أو الآية، وإخفاء أجزاء أُخرى منه، كعادة اليهود، والمنافقين، وسوف نكتشف هذا عندما نرجع إلى أصل الحديث ونقرأ كامل روايته، وهي:

أخرج الإمام أحمد في مُسنده عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَخْدُمُهَا، فَلا تَصْنَعُ عَائِشَةُ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، ألا قَالَتْ لَهَا الْيَهُودِيَّةُ: وَقَاكِ اللهُ عَذَابَ الْقَبْرِ، قَالَتْ: فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ

[1] لقد فَصَّل الفخر الرازي (المتوفى: 606هـ) في تفسيره مفاتيح الغيب" هذا كثيرًا وأجاب عنه مُطَوَّلاً، فراجعه ج 2 ص 375، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420 هـ.

لِلْقَبْرِ عَذَابٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «لا، وَعَمَّ ذَاكَ؟» قَالَتْ: هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ لا نَصْنَعُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، أَلا قَالَتْ: وَقَاكِ اللَّهُ عَذَابَ الْقَبْرِ، قَالَ: «كَذَبَتْ يَهُودُ، وَهُمْ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَكْذَبُ، لا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قَالَتْ: ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَاكَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ نِصْفَ النَّهَارِ مُشْتَمِلا بِثَوْبِهِ، مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَظَلَّتْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ بَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَضَحِكْتُمْ قَلِيلا، أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ»[1].

وهذا الحديث يدلنا بكل صراحة أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، ولا يعلم منه إلا ما عَلَّمَهُ الله تعالى، بل إنَّ ربنا تبارك وتعالى أمره ببيان ذلك للناس وتوضيحه عندما أمره بقوله: ﴿قُل لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ أَلا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ (50)﴾ (الأنعام)، وفي هذه الآية أمرين مهمين جدًا، الأول: الفعل ﴿قُلْ﴾ وهذا أمر من الله للنبي ﷺ بأن يُخبر كل البشرية بأنه لا يعلم الغيب، والثاني هو قوله ﷺ: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ أَلا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ أي: أخبر كل البشرية أني أتلقى علمي من الله عن طريق الوحي، ولا آتي بشيء من عند نفسي.

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (24520)، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأورده الهيثمي في "المجمع" ج 3 ص54، وقال: هو في الصحيح باختصار، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

ومثل ذلك قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:188).

وبناء على هذا فإن غاية ما في الحديث الذي استدل به الـمُنكرون أن الرسول ﷺ الذي نفى عن نفسه أنه يعلم الغيب، لم يكن يعلم أنه يوجد عذاب في القبر، ثم أخبره الله تعالى بذلك، وانتهى الأمر، فلا يحتاج إلى فلسفات، ولا إلى تحليلات.

ومثل ذلك تلك الأسئلة التي كانوا يسألونها له ﷺ فلا يعلم إجابتها، بل ينتظر الوحي حتى يأتيه بالجواب، مثل قصة أهل الكهف، وكذا قصة ضياع ناقته ﷺ في غزوة تبوك، كما أخرج البيهقي أن زيد بن اللصيت القينقاعي المنافق، قال لما ضاعت ناقة النبي ﷺ: أليس محمَّد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ رَجُلا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَيخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ، وَهُوَ لا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي وَاللّهِ مَا أَعْلَمُ إِلا مَا عَلَّمَنِيَ اللّهُ، وَقَدْ دَلَّنِي اللّهُ عَلَيْهَا، هِيَ فِي الْوَادِي قَدْ حَبَسَتْهَا الشَّجَرَةُ بِزِمَامِهَا**» فَانْطَلَقُوا فَجَاءُوا بِهَا[1]..

انظر -أيها القارئ الغالي- في الحديث، وأعده مرات، تفكَّر في قوله: «**وَإِنِّي وَاللّهِ مَا أَعْلَمُ إِلا مَا عَلَّمَنِيَ اللّهُ**».

وقيل: أن الرسول ﷺ كان يعلم أن الكُفار يتعذبون في قبورهم، لورود آيات مكية في ذلك، منها آيات آل فرعون وغيرها، لكن "الَّذِي أنكرهُ النَّبِي ﷺ

[1] أخرجها البيهقي في "دلائل النبوة" رقم (2001)، انظر: سيرة ابن هشام ج 5 ص 202، و"صحيح السيرة" لإبراهيم العلي ص 471.

إِنَّمَا هُوَ وُقُوع عَذَاب الْقَبْر على الْمُوَحِّدين، ثمَّ أُعْلِمَ النبيّ ﷺ وأخبره الله عن طريق الوحي أَن ذَلِك قد يَقع على من شَاءَ الله مِنْهُم، فَجزم بِهِ وحذر مِنْهُ وَبَالغ فِي الِاسْتِعَاذَة مِنْهُ، تَعْلِيمًا لأمته، وإرشادًا، فَزَالَ التَّعَارُض، وَالله أعلم"[1]اهـ.

ويؤيد هذا رواية مُسلم للحديث عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: " دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَهِيَ تَقُولُ هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَالَتْ: فَارْتَاعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدُ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[2].

ولو وضعوا شُبهة تقول: بناء على هذا الحديث الصحيح فإن النبي ﷺ يكون قد أخذ فكرة عذاب القبر من يهودية، أو نَقَلَ عقيدة عذاب القبر منهم، وليست وحيًا، إذ كيف تعرف هذه اليهودية عن عذاب القبر؟

فإن الجواب: أن الرسول ﷺ لم يكن يعلم أن المسلمين يُعذبون في قبورهم، وإنما على غير المسلمين، لكن الله أخبره بأن عذاب القبر يناله كل من يستحقه، أما علم اليهودية بذلك فقد يكون لها دراية بما في كُتبهم السابقة، وتحريفهم لبعض ما في كتبهم لا يعني أنهم ألغوا كل شيء فيها، ومن الأشياء التي لم تُحرّف مثلاً بعض صفات نبي آخر الزمان (محمد ﷺ) التي علمه من خلالها زعماء اليهود، وهذه القصص مشهورة في السيرة.. وقد أخبرنا الله تعالى أن صُحف إبراهيم عليه السلام كان فيها إخبارٌ عن يوم

[1] قاله في "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" (ج8 ص 203).
[2] رواه مسلم رقم (584).

القيامة والعذاب والحساب، والقصاص، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42)﴾ (النجم) والله أعلم.

❖ ومما استدل به المنكرون لعذاب القبر ونعيمه قول الله عز وجل: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾ (الدخان: 56)، وقالوا: لو صاروا أحياءً في القبور لذاقوا الموت مرتين مرة في حياتهم الدنيا، ومرة في حياتهم البرزخية.

وهذا دليل واهٍ، إذ لا يُمكن مُقارنة حياة البرزخ أو حياة القبر بالحياة الدنيا، والإيمان بحياة الأموات في قبورهم لا يقتضي مساواة حياتهم في البرزخ بحياتهم في الدنيا، بل هي حياة خاصة قدرها الله سبحانه لهم، وعليه فلا يلزم ما قاله المنكرون لعذاب القبر ونعيمه من أنه لو كان الأموات منعمين أو معذبين للحقهم الموت مرة ثانية إذ ذلك لا يلزم إلا في حال تساوي الحياتين.

ولو نظرنا إلى دورة حياة الإنسان في الدنيا لرأينا فرقًا بَيِّنًا واضحًا بين حياته في ظهر أبيه، وبين حياته في بطن أُمه حيث الراحة والطعام المجاني، وبين حياته في الدنيا حيث الكدّ والنصب والتضحية والعناء والكره والبُغض، فإذا كان هذا في الحياة الدنيا، فما بالكم بحياة أُخرى غيبية لا يعلم أيّ إنسان منها شيئًا؟

وإن كانوا أحياءً في القبر فأين هي الموتة الثانية؟ أليسوا يُبعثون من القبور؟ فكيف سيموتون موتة أُخرى؟ فلا يوجد إلا موتة واحدة يموتها كل حيّ، فـ ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾ التي ذاقوها في ختام حياتهم الدنيا

وانتقالهم إلى حياة البرزخ، ولا يموتون غيرها، ولا يقومون منها إلا عند النفخة الثانية، فالنفخة الأولى يموت معها كل حيّ على وجه الأرض، ثم النفخة الثانية يقومون كل الأولين والآخرين إلى الحشر والحساب، وهذا في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68)﴾ (الزُّمَر).

ومنشأ هذا الخلط عند منكري نعيم القبر وعذابه هو ظنهم أن الموت هو عدم محض لا يشعر معه صاحبه بشيء، وهذا ما ترده النصوص الشرعية من الكتاب والسُّنَّة.

ثم إنَّ هذه الآية لا علاقة لها بعذاب القبر، لا من قريب ولا من بعيد، فقد جاءت في سياق الامتنان على أهل الجنة بأنهم خالدون، فلا يذوقون الموت ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة، سوى ما ذاقوه أول مرة في حياتهم الأولى، فليس في الآية حديث عن عذاب القبر ولا نعيمه ولا تعلق للآية به، فالاستدلال بها إقحام لها في غير سياقها ومساقها.

❖ كما استشهدوا على إنكارهم أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر: 22) قالوا: إنَّ الغرض من سياق الآية تشبيه الكفرة بأهل القبور في عدم السماع، ولو كان الميت حيًا في قبره أو حاسًا لم يستقم التشبيه.

وهذا أيضًا دليل غاية في الضعف، والبعد عن الصواب، والجواب عنه بأنَّ هؤلاء وأمثالهم من مُثيري الشُّبهات يقتطعون الجزء الذي يُريدون من الدليل ويتركون تمامه، فاسمعوا الآية بتمامها، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلا الْأَمْوَاتُ إِنّ اللّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مّن فِي الْقُبُورِ (22)﴾ من هم الأحياء؟ ومن هم الأموات؟

هذه الآية مثل فيه تشبيه، ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (الأنعام: 122)، وقد وردت في سياق تشبيه حال الكفار من حيث عدم انتفاعهم بسماع المواعظ والآيات بحال أهل القبور الذين لا ينتفعون بشيء مما يلقى عليهم، فالآية تنفي سماع الانتفاع، لا مطلق السماع، بدليل أنَّ الكفار وهم الذين شبههم الله بالأموات يسمعون الآيات -بلا شك- ولكنهم لا ينتفعون بها.

☜ فالآية بعيدة جدًا عن الموضوع عذاب القبر ونعيمه، والله أعلم.

❖ واستدل صاحب كتاب (حقيقة عذاب القبر) بقوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} (الإسراء:85)، أي: الروح مجهولة، وقال (ص306): "كل من ادعى أن الروح تُعَذَّب في البرزخ فقد أخطأ لأنها لا تُعرف ماهيتها، فهي سِرّ إلهي".

أقول له: كما أن الروح مجهولة غيبيَّة لا يعرف كُنهها إلا الله، فإن هذا النعيم أو العذاب غيبي يتناسب معها، فلا يعرف كُنهه ولا كميته ولا وقته ولا حجمه إلا الله، كما أن موعد قيام الساعة غيبي مجهول لا يعلمه إلا الله، وكيفية وكمية وماهية عذاب النار مجهولة غيبية لا يعلمها إلا الله، ونعيم الجنة لم ترهُ عين ولم تسمع به أذن، بل لم يخطر على قلب بشر، فهو غيبي مجهول لا يعلم أحد عنه شيئًا إلا الله.

ثم إن عندي سؤال لهم، هل تُنكرون الحشر قبل يوم القيامة؟ وقد ذُكر في القرآن الكريم مرات عدة، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49)

لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ (الواقعة)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجر: 25). وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ (هود: 103)؟

فكيف سيحشرهم ربنا تبارك وتعالى هل بالأرواح فقط؟ أم بالأجساد فقط؟ أم بهما جميعًا؟ وإن كانوا سيُحشروا بالأجساد؛ هل ستكون نفس الأجساد التي كانت في الدنيا أم غيرها؟ وكيف سُحشر الذي حُرق وصار رمادًا، أو الذي غرق فلم يُعثر له على أثر، أو الذي أكلته السباع فصار لحمه طاقة في أجسادها؟

إنه أيها الأحبة عالَمُ غيب، لا يُمكن لأحد معرفته إلا بنصّ أو دليل شرعي، فالله عز وجل يحشر الناس ويجمعهم ليوم القيامة سواء من كان منهم في قبره، أو أكلته السباع، أو احترق، أو غرق، أو مات بأي ميتة كانت، قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ (البقرة: 148)، وكيف يأتي بهم لا أحد يعرف؛ لأنه من عمل الله تعالى، وفي علمه الغيبي، وقال أيضًا: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: 82).

ولو أردنا أن نُفكر بهذا المنطق الأعوج الأعرج الأهوج، فإننا سنفتح الباب على كثير من الأسئلة التي ليس لنا أن نسألها، مثل: لماذا لم يذكر الله اسم ذي القرنين بينما ذكر لقبه؟ ولماذا لم يذكر الله اسم النبي الذي كان في زمن طالوت وجالوت؟ ولماذا لم يُخبرنا الله إلا بأسماء خمسة وعشرين نبيًا فقط؟ ولماذا .. ولماذا.. ولماذا.، كما أنَّ يدفعنا أيضًا إلى تكذيب أمور عقائدية أُخرى، كالميزان، والصراط، وحادثة المعراج إلى السماوات العُلى، وغيرها.

❖ ومن أغرب الغرائب وأعجب العجائب إستدلالهم بقوله تعالى: {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21)} (النحل)، وقالوا: "وأهم شيء أن الأموات لا يشعرون أيان يُبعثون، وعليه؛ فمن قال أن الميت يشعر أو يحس في قبره فقد أنكر كلام الله" انتهى كلامهم.

قلتُ: هذا أسخف كلام يُمكن سماعه في هذا الموضوع، وأضعف دليل لهم، بل إنه يدل: إما على غباء فاحش، أو ضعف فهمهم لكتاب الله تعالى وآياته، أو تَعَمُّد ليّ أعناق النصوص لتتلائم مع قولهم، فيكذبون على الله، فلو قرأنا آية سابقة لهذه الآية نجدها تتحدث عن الأصنام الحجرية الجامدة التي لا روح فيها، فكيف تعرف هذه الأصنام متى مبعثها؟ اقرأوا قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21)} أرأيتم جهلهم؟

أما ما جاء في سورة النمل: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (65)} فإنها تتحدث عن الأحياء، وهل يعلم الأحياء متى يُبعثون؟ بل هل يعلمون متى يموتون أصلاً؟ بل إم الميت في قبره أيضًا لا يعلم متى يُبعث، ولو كانوا يعلمون ما عجبوا من قيامتهم، وقالوا: من بعثنا من مرقدنا.

۞۞۞

❖ هذا ما يتعلق برد استدلالهم بالمنقول على إنكار عذاب القبر ونعيمه، أمَّا استدلالهم بالمعقول وبالحس فقد قالوا: لو كشفنا القبر ما رأينا ذلك، ولا رأينا الملائكة التي تعذب الكفار، ووجدنا القبر كما حفرناه لم يزد ولم ينقص، وكيف يسع القبر الميت مع من يعذبه أو يؤنسه أو يسأله؟ ونرى

المصلوب على خشبة لا يتحرك ولا يسأل ولا يجيب؟ وكذلك من أكلته السباع، ومن احترق، ومن تفرقت أجزاؤه؟ وكيف يسأل من تفرقت أجزاؤه في الرياح والبحار والتراب؟.

أقول: هذا كلام هُراء فارغ، هدفه الجدل والجدال والمراء، لأنه ثبت معنا أنَّ هذه الأحداث كلها تحدث في عالم غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى الذي خلقه، ولا يُمكن لأحد في الدنيا أن يطلع عليه، وإلا أصبح مُشاهدة لا غيبًا، اللَّهُمَّ إلا الأنبياء الذين يُطلعهم الله تعالى على شيء منه، ويكشف لهم عن بعضه لحكمة ربانية قد نُدركها وقد لا نُدركها، كما كُشف للنبي ﷺ عن سماع عذاب القبر في حالات وأوقات معينة، ولحكمة.

فإذا كان الجنين في بطن أمه لا يعلم شيئًا عن حياته في الدنيا، وما سيحصل له بعد أشهر معدودة، فهل يعلم هذا الحيوان المنوي الذي في ظهر الرجل انه بعد ثمانية عشر سنة سيرسب في الثانوية؟ أم يعلم أنه سيُصاب في حادث سير ويجلس على كرسي متحرك؟ ألا فلتُعملوا عُقولكم، ولا تجعلوها فريسة لدودة الغباء، تنهشها كما تأكل الأرضة عود الخشب.

قال الإمام الغزالي: "إن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من علم الملكوت، أما ترى الصحابة رضي الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه؟ ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهِده، فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك، وإن كنت آمنت به وَجَوَّزْتَ أن يشاهد النبي مالا تشاهده الأمة، فكيف لا تجوز هذا في الميت؟ وكما أن الـمَلَك لا يشبه الآدميين والحيوانات، فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي

جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى... فتذكر أمر النائم وأنه قد يرى في نومه حيَّة تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه يصبح في نومه ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حيَّة والحيَّة موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد وإذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد"[1]اهـ.

كما أنه ليس كل ما لا يُحَسّ بأحد الحواس غير موجود، فمثلاً الميكروبات لا ترى إلا بالميكروسكوب، وكذلك النطفة المنوية مملوءة بملايين الحيوانات الحية المتحركة، ونحن لا نحس ذلك ولا نبصره، ويقررون أنها تعذب وتنعم، وتموت وتقتل، وتمشي وتروح وتجيء، ولا نرى من ذلك شيئا، فلا غرابة في عذاب القبر وإن لم نره.

ثم أن علماء النبات قد حققوا أن للنبات شعورًا بالآلام وبالموت، فما لنا ننكر مثله للأموات أو للأرواح التي انتقلت من دار إلى دار؟! بل إن بعضها يحسّ بحركة الحشرات فيصطادها ويتغذى عليها.

كما أن النائم الذاهب في النوم إلى حد الهمود قد يكون في جسمه وفي لحمه ودمه من الحيوانات والأمراض، ما يمزق لحمه، ويمتص دمه، وينخر عظامه، وما قلنا: إن هذا باطل لأننا لا نحسه ولا نراه، وإن النائم أيضا قد يجد أشد الآلام، ويعاني العذاب الشديد وهو نائم ساكن، ونحن لم نر من ذلك شيئًا، وقد يرى أنه يضرب ويعذب فيقوم فزعًا، وقد يجد في بدنه مواقع

[1] إحياء علوم الدين، ج 4 ص 500 وما بعدها.

الضرب والآلام، وما أنكرنا شيئا منه؛ لأننا لم نبصره، بل قد يكون الإنسان في أشد العذاب في نفسه وجسمه وهو جالس أمامنا كأنه ليس به شيء، وكأنه لا يحس شيء".

"ولنفرض أن الله لم يخلق للإنسان حاسة السمع فلم يسمع مسموعًا، فهل يكون فقداننا للمسموعات دليلاً على عدمها، وعلى أنها غير موجودة؟ اللَّهُمَّ لا. وهل الأصم ينكر وجود الأصوات؟ إن إنكار الأصم للأصوات؛ لأنه لم يسمعها كإنكار هؤلاء عذاب القبر لأنهم لم يحسوه، ولم يروه، أو لنفرض أن النوع الإنساني خلق فاقد الحواس الخمس، فلم يحس شيئًا من الموجودات، لا سمعيًا، ولا مرئيًا، ولا مطعومًا، ولا ملموسًا، ولا مشمومًا، فهل تكون هذه الأشياء غير موجودة؛ لأنه لم يحسها بحواسه الخمس؟! وهل يكون فقده لحواسه دليلا على فقد ما يدرك بها؟! اللَّهُمَّ لا، إذا لا يكون عدم إحساس هؤلاء لعذاب القبر دليلا على فقده في الواقع"[1].

أقول: وهذا الأمر كان ظاهرًا للصحابة الكرام، ولم يخفَ عليهم، فقد سألوا نفس السؤال عندما ذهبوا مع الرسول ﷺ إلى القُليب حيث دُفن قتلى المشركين يوم بدر وقال لهم: **«يَا فُلانَ بْنَ فُلانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا»**، فَقالوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُكَلِّمُ أَجْسَادًا لا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ أو قالوا: أتنادي ناساً أمواتاً؟ أو قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا؟ وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ»**[2].

---

[1] مشكلات الأحاديث النبوية، عبد الله القصيمي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط2، 2006م، ص 14-18.

[2] أخرجه البخاري (1370)، وأبو داود الطيالسي (40)، والإمام أحمد (6145)، وغيرهم.

فالصحابة رضوان الله عليهم إنما يتحدثون عما رأوه، وعاينوه، وما هو ظاهر لهم، وهذا شأن كل الناس، أما النَّبي ﷺ فقد كُشف له ما لم يُكشف لهم ولا لنا، فكان جوابه لهم تعليمًا وتفهيمًا، وتصويبًا لفكرة كانت لديهم، فآمنوا بهذه الفكرة، رغم أنهم لم يروا بأعيُنهم، لكنهم صدَّقوا، فصدقهم الله، كما صدّقوا بنزول جبريل والملائكة، وهم لم يروهم، وصدَّقوا برحلة الإسراء والمعراج ولم يروها، وغير ذلك، فهل نقتدي بهم، فنقول كما قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير؟

قال النووي: "فان قيل: فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره فكيف يُسأل ويُقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر، فالجواب: أن ذلك غير ممتنع بل له نظر في العادة وهو النائم، فإنه يجد لذةً وآلامًا لا نحس نحن شيئًا منها، وكذا يجد اليقظان لذة وآلمًا لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جليسه منه، وكذا كان جبريل يأتي النَّبي ﷺ فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون، وكل هذا ظاهر جَلِيّ"[1].

❁❁❁

[1] شرح مسلم " (ج 17 ص 201).

والرد عليهم عقليًا أيضًا يكون من عدة وجوه أُخرى:

الوجه الأول: أن الله قد حجب عنا معرفة ما يحصل للميت شفقة بنا لئلا نترك دفن موتانا، قال ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»[1].

الوجه الثاني: أن عدم رؤيتنا لما يحصل للميت من عذاب أو نعيم لا يعني عدم وجوده فقدرة الله ليس لها حدود، فهو قادر سبحانه على أن يعذب أو ينعم من مات محروقًا، أو مات مأكولاً، فالله لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير، فمن شك في ذلك نخشى أن يكون قد شكّ في قدرة الله تعالى.

الوجه الثالث: أننا نرى اليوم من طرق التعذيب أنواعًا مختلفة لا تترك آثارًا في الجسد كالتعذيب الكهربائي مثلاً أو التعذيب النفسي، وهي أنواع من التعذيب ربما تكون أقسى من تلك التي تترك ندوبًا في الجسد وآثارًا.

الوجه الرابع: أن من أصول الإيمان عندنا الإيمان بالغيب، وعذاب القبر منه، وإنكار عذاب القبر ونعيمه بدعوى عدم مشاهدته أو الإحساس به، هو فتح لباب جحود الغيب على مصراعيه، فالملائكة تطوف حولنا وتكتب حسناتنا وسيئاتنا ولا نراها ومع ذلك نؤمن بها، وكذلك الجن، فهل يعد عدم رؤيتنا لذلك مبررًا لإنكار تلك الغيبيات؟.

والوجه الخامس: وجود حكمة بالغة من الإيمان بالغيب، وبقاء المكلفين في دائرة الامتحان والابتلاء، حيث يميز الله المؤمنَ الصادق الذي يقول: سمعنا وأطعنا، من الكافر والمنافق الذي يقول: سمعنا وعصينا.

---

[1] أخرجه مسلم (67-2867) وغيره.

☜ فإن قيل: لماذا أخفى الله - عزَّ وجل - أحوال القبر؟

فالجواب -رعاك الله-: أنَّ الله تعالى أخفى أحوال القبر؛ لعدة حِكَم منها:

1. رحمته بعباده، فلو كشف العذاب لهم؛ لتنكد عيشهم، وتواصلت أحزانهم؛ لأن الإنسان إذا اطّلِع على أن أباه، أو أخاه، أو ابنه، أو زوجه، أو قريبه يعذب في القبر ولا يستطيع فكاكه، فإنه يقلق ولا يستريح، وهذه من نعمة الله سبحانه .

2. أنَّ في كشف العذاب فضيحة للميت، فلو كان هذا الميت قد ستر الله عليه ولم نعلم عن ذنوبه بينه وبين ربه عز وجل ثم مات وأطلعنا الله على عذابه، صار في ذلك فضيحة عظيمة له ففي ستره رحمة من الله بالميت.

3. أنَّ في كشف أحوال القبر عدم تَدَافُن الناس بعضهم لبعض، فلو كُشِفَ العذاب لَمَا دفن أحدٌ ميتًا؛ خوفًا من سوء العاقبة، وقد سبق معنا قول النَّبيُّ ﷺ: «فَلَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا ؛ لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

4- ومن حكمة الله أيضًا أن ما يجري على الميت في قبره لا يحس به الأحياء لأن الله تعالى جعله من الغيب ولو أظهره لفاتت الحكمة المطلوبة وهي الإيمان بالغيب

فما يحصل في القبر من أحوال حاصلة لكل إنسان أيًا كان، سوى الأنبياء، سواء أحرق، أو غَرِق، أو أكلته السباع، والطيور، أو مات على أية حال كان، فإنه بموته ينتقل لحياته البرزخية سواءً دُفِن أو لم يُدْفَن؛ وذلك لأنَّ الإنسان مركب من جسد وروح، وهذه الروح بعد الموت تخرج من الجسد فتبقى إمَّا معذَّبة، أو منعَّمة.

وهناك مجموعة من الحِكَم من الإيمان بنعيم القبر وعذابه، منها:

1- إظهارُ فضل الله تعالى على عباده المؤمنين الصالحين في تنعيمهم في الحياة البرزخِيَّة، وإذلالُ وتعذيب المُكذِّبين العاصين والعياذ بالله، فهو القادر على كل شيء، وفي أي زمان، وفي كل مكان، وفي أي عالَم كان؛ لأنه خالقها، والأعلم بها، ألم يقل جل جلاله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14)﴾ (سورة المُلك).

2- إظهار قُدرة الله تعالى في تَعذيب العصاة والكافرين، وتَنعيم المؤمنين الصادقين في القبر دُون أن يَشعر بذلك سائرُ البَشر، ألم يقل جل جلاله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (65)﴾ (الأنعام)؟.

3- أن المُكلفين عندما يَعلمون أن هناك نعيمًا في القَبر أو في الحياة البرزخِيَّة يدفعهم ذلك إلى الطاعة والتمسك بالدين والأخلاق التي تُرضي ربهم، وإن علموا أن فيها عذابًا فإن ذلك يكون رادعًا ومانعًا لهم عما يَسوء ويَشين فِعله في الآخرة، ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (44)﴾ (سورة النور).

4- التحذير من بعض الذنوب والمعاصي، والتي يكون لها عُقوبات خاصَّة تناسبها، كعدم التنزُّهِ من البول، والنَّميمة، وغير ذلك، وهذا سبب عظيم في الردع عن تلك المعاصي، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

5- قد يكون العذاب في القبر مُكفِّرًا لبعض الذُّنوب والمعاصي التي ألم بها العبدُ في الحياة الدنيا، فيأتي يوم القيامة ولا ذنبَ له، أو قد يكونُ العذاب

في القبر تخفيفًا لعُقوبة ذلك العبد في النار يوم القيامة، فهو وإن كان في عالم الغيب إلا أنه يدخل ضمن قول النبي ﷺ: «**مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلا كَفَّرَ الله بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[1].

تساؤل[2]!

لا أدري ماذا سنستفيد من إنكار عذاب القبر؟ هل سنصبح أكثر خوفاً من الله تعالى إذا أنكرنا عذاب القبر؟ هل سنترك المعاصي إذا اعتقدنا أننا بعد الموت سنفنى وبعد آلاف أو ملايين أو مليارات السنين سوف نبعث من جديد؟ هل سنتقرب إلى الله ويزيد إيماننا ويقيننا إذا اعتقدنا أن القبر هو مجرد تراب ليس فيه عذاب؟

إن المؤمن عندما يدرك أن العذاب سوف يبدأ منذ لحظة الموت، سوف يستعد لهذا اليوم ويستعيذ بالله تعالى من عذاب القبر، ويصبح أكثر خشوعاً وخوفاً من ذلك القبر.. فيحسُن خُلُقُه وتهون عليه مصائب الدنيا أمام هذا القبر المظلم.. ويسعى لأعمال الخير ليكون في مأمن من عذاب القبر.

ثم ماذا سنستفيد من إنكار حيث نبوي شريف، بل إنكار عشرات الأحاديث الصحيحة التي تتحدث عن عذاب القبر وتحذرنا منه، وتأمرنا بالاستعاذة من عذاب القبر، والاستعداد لما بعد الموت؟ ماذا لو كان عذاب

---

(1) أخرجه البخاري (**5641**)، ومسلم (**2573**)، انظر: "دراسات عقدية في الحياة البرزخية" لعبد الله بن علي الحازمي، دار ابن حزم، **2004**، ص **358**.

(2) www.kaheel7.com/ar/index.php/2012-12-04-18-32.../1950-2016-05-28-23-29-31

القبر موجوداً بالفعل؟ ماذا سنفعل لو لم نكن قد جهزنا أنفسنا لمثل هذا المصير المؤلم؟

ماذا لو كانت أحاديث عذاب القبر صحيحة؟ ما هو موقفنا أمام الله تعالى يوم القيامة؟

طبعاً نحن لا ننكر بأن هناك أحاديث ضعيفة بالفعل.. أحاديث تسيء للنبي ﷺ وصحابته وآل بيته رضوان الله عليهم.. مثل هذه الأحاديث يجب أن ننكرها لأنها بمثابة إيذاء للنبي وأزواجه وصحابته.. فيجب أن ننزه حبيبنا المصطفى عن كل ظن سيء.. فالله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: 58).

فعندما نسيء لشخص مثل البخاري رحمه الله. ونقول إنه يفتري الكذب على رسول الله ﷺ، وعندما نسيء لعلماء وأئمة كبار لا نشك في إيمانهم مثل الإمام الشافعي وأبو حنيفة وأحمد ومالك والنووي وكثير من الصحابة والتابعين والقراء الذين نقلوا لنا القرآن مثل حفص وابن كثير ونافع... ونقول إن كل هؤلاء (عشرات الآلاف) كانوا يؤمنون بخرافة عذاب القبر.. هذا إيذاء لهم واستخفاف بعقولهم وشكّ بإيمانهم.. فيُخشى ممن يفعل ذلك أن يحتمل البهتان والإثم المبين كما قال تعالى.

وبهذا يظهر أن من أنكر عذاب القبر ونعيمه ليس معه من العلم سوى الأوهام، وأن دلائل الكتاب والسنة قائمة على إثباته وتحقيقه، والله أعلم.

۞۞۞

أسئلة وأجوبة..

هذه بعض الأسئلة التي يُثيرها البعض حول هذه المسألة، أقصد مسألة عذاب القبر ونعيمه، وقد حاولت الإجابة عليها، نسأل الله تعالى السداد والتوفيق والقَبول..

السؤال الأول هل عذاب القبر من العقيدة؟

الجواب: أولاً: ما هو تعريف العقيدة؟ العَقد؛ وهو الربط، والإبرام، والإحكام، والتوثق، والشد بقوة، والتماسك، والإثبات؛ ومنه اليقين والجزم. والعقد نقيض الحل، ويقال: عقده يعقده عقداً، ومنه عقدة اليمين والنكاح، قال تعالى: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ (المائدة: 89)[1].

ثانيًا: تعريف العقيدة في الاصطلاح: هي الأمور التي يجب أن يُصَدِّق بِها القَلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك[2].

هذا بشكل عام، ولو أسقطنا هذا التعريف على دين الإسلام، فيكون تعريف العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف

[1] انظر "المعجم الوسيط" ص **614.**

[2] "الوجيز في عقيدة السلف الصالح" لعبد الحميد الأثري ص**30.**

الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم[1].

ثالثًا: مصادر العقيدة الإسلامية: مصادر العقيدة هي مصادر الدين عقيدةً وفقهاً، وهي الكتاب والسنة، وليس هناك مصادر غيرها[2]، فالعقيدة توقيفية؛ فلا تثبت إلا بدليل من الشارع، ولا مجال فيها للرأي والاجتهاد، ومن ثَمَّ فإن مصادرها مقصورة على ما جاء في الكتاب والسُّنَّة؛ لأنَّه لا أحد أعلمُ بالله وما يجب له وما ينزه عنه من الله، ولا أحد بعد الله أعلمُ بالله من رسول الله ﷺ.

رابعًا: بناءً على ما سبق فإن عذاب القبر من العقيدة، للأسباب الآتية:

1: هو من الغيبيات التي لا يُمكن التصديق بها إلا بدليل من الوحي.

2: دَلَّت آيات القرآن الكريم عليه، كما سبق في أوَّل هذه الرسالة.

3: دَلَّت عليه أحاديث كثيرة جدًا وصلت إلى حدّ التواتر، بكل صراحة ووضوح، وقد أوضحت بعضها في هذه الرسالة.

4: إجماع علماء الأمة من المحدثين والفقهاء على تواتر هذه الأحاديث عن أكثر من ثلاثين صحابيًا.

☜ وبما أنه انطبقت عليه شروط العقيدة، فهو من العقيدة، والله أعلم.

---

[1] "بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة" ص: 11-12، و "مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية" د عثمان جمعة ضميرية ص 87.

[2] لكن بعض العلماء يذكر مصدرًا ثالثًا، وهو الإجماع، وهو ليس مصدرًا مستقلاً، بل عبارة عن حصيلة فهم النصوص، فأحياناً ينبني الإجماع على نص، أو على مجموعة نصوص، وأحياناً ينبني الإجماع على قاعدة أو قواعد أخذت من نصوص وأحياناً ينبني الإجماع على فهوم صحيحة سليمة من قِبَل الراسخين في العلم من النصوص، فعلى هذا الإجماع قد يعتبر مصدرا ثالثا، وقد يقال أنه مصدر تابع، ولا مشاحة في الاصطلاح.

السؤال الثاني : إذا كان هناك عذاب قبر، فلماذا لم يذكره الله تعالى بصراحة في القرآن، كما ذُكر الحشر والحساب والجنة والنار؟

الجواب: أنا أعتقد أن هذا السؤال فيه نوع من سوء الأدب مع الله تبارك وتعالى، فالله تبارك وتعالى هو الحكيم، ولا يحق لأحد أن يعترض على أيّ حكم من أحكامه، أو تشريع من تشريعاته، ولا آية من آياته، لأنَّه جل جلاله أنزلها بحكمة ولحكمة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5)﴾ (سورة القمر)، جاءتنا آيات العقيدة.. وآيات العبادات.. وآيات التشريعات.. فكل آية في القرآن، بل كل حرف منه، كلها لحكمة بالغة.. سواء علمنا هذه الحكمة أم لم نعلمها..

وقد سمى الله تعالى نفسه (الحكيم)، ومن معاني هذا الاسم: "الَّذِي لا يَقُولُ وَلا يَفْعَلُ إِلاَّ الصَّوَاب، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ لأَنَّ أَفْعَالَهُ سَدِيدَةٌ، وَصُنْعَهُ مُتْقَنٌ".

فبدلاً من أن نتحذلق على آيات الشرع، فلنُعمل هذه العقول في البحث عن هذه الحكمة البالغة، ليزداد إيماننا وتصديقنا ويقيننا، أو نُعمل عقولنا في البحث فيما يُفيدنا، ويُفيد الأمة، والعالم، من علوم، وأدوية، واكتشافات.

ومن العجائب أن هؤلاء المتحذلقين الذين يُنكرون أحوال القبر أنهم يؤمنون بأشياء، ويوقنون أنها حق، لكنهم لا يروها، فقد عجزت العقول البشرية حتى الآن عن اكتشاف كُنه فيروس الإيدز-على سبيل المثال- مع أنهم يؤمنون أنه موجود، ولا يستطيع أحد أن يُنكر وُجوده، ولم تستطع مجاهرهم الإليكترونية التي تُكبر آلاف المرات أن تكشف ماهيته، فكيف

تُريد أن تكتشف العيون أو تسمع الآذان عالمًا غيبيًا، لا نعرف منه إلا ما أخبرنا به الوحي، في القرآن أو في السُّنة؟

وإذا كانت كل الفحوصات والتحاليل الطبية، والصور الإشعاعية والنووية والمغناطيسية، والمناظير، لم تستطع أن تُجيب عن سؤال: كيف ولماذا حصل وَرَمٌ في القولون أو في البنكرياس؟ وقد يستأصلون هذا الورم، ويتفحصونه، ويضعونه تحت المجاهر الاليكترونية، لكنهم لم يكشفوا لماذا حصل، وهو أمامهم موجود، لا أحد يستطيع أن يُنكر وجوده، فكيف يُريدون أن يروا بأعيُنهم في الدنيا أمرًا قدَّر الله له أن يكون غيبي؟

فإذا كان الله تعالى يقول في الحديث القدسي[1] عن الجَنَّة (وهي عالَمٌ غيبي أيضًا): «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ثم قال النبيّ ﷺ «فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ» ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: 17).. فكم خطًا يجب أن نضع تحت قوله: «مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» حتى يفهم المتحذلقون؟

السؤال الثالث : أليست أحاديث عذاب القبر أحاديث "آحاد"؟ وأحاديث "الآحاد لا يؤخذ بها في العقائد؟

الجواب: أولاً: هذا اعتراف من منكري "عذاب القبر" أنه من العقيدة.

ثانيًا: حديث خبر الآحاد: هو ما رواه عن رسول الله ﷺ واحد من الصحابة أو اثنين أو ثلاثة، لكنه لم يصل إلى درجة التواتر[2].

[1] رواه البخاري (3072) ومسلم (2824) وغيرهما.

[2] التمهيد في علوم الحديث، د. همام سعيد، دار الفرقان، ص 53.

ثالثًا: ثبت معنا سابقًا أنَّ أحاديث عذاب القبر ليست آحاد، وإنما متواترة عن أكثر من ثلاثين صحابيًا.

رابعًا: إن القول بأن حديث الآحاد لا يُقبل في العقائد قول مردودٌ وغير صحيح؛ فإن الحديث إذا ثبتت صحته برواية الثقات، ووصل إلينا بطريق صحيح؛ فإنَّه يجب الإيمان به، وتصديقه، سواء كان متواترًا، أو آحاداً، وإنَّه يوجب العلم اليقينيّ، وهذا هو الحق، وهو مذهب علماء السلف الصالح من الصحابة وما بعدهم، بل وحتى الرسول ﷺ أيضًا؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب:36)، وقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (آل عمران: 32).

وهذا ما كان يعمل به النبي ﷺ، فقد قَبِلَ شهادة الواحد في رؤية هلال رمضان، فهذا عبد الله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يقول: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْهِلَالَ، قَالَ الْحَسَنُ فِي حَدِيثِهِ يَعْنِي رَمَضَانَ، فَقَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «يَا بِلَالُ، أَذِّنْ فِي النَّاسِ فَلْيَصُومُوا غَدًا»، وفي رواية لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أنِّي رأيته، فصام وأمر الناس بالصيام"[1]، وَقَبِلَهُ في هلال شوال باثنين، كما ثبت ذلك أيضًا، قال الترمذي: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم.

كما أنَّه ﷺ كان يُرسل واحدًا واثنين من الصحابة، ليُعلموا الناس عقيدتهم، كما أرسل مصعب بن عمير إلى المدينة، ومُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ له:

[1] أخرجه أبو داود (**2340**)، والنسائي (**2113**)، والدارمي (**1734**)، وأبو يعلى (**2529**)، وابن حبان (**3446**)، ابن خزيمة (**1923**)، وقال محققه وليد الأعظمي: إسناده صحيح.

«ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ» أليست هذه عقيدة؟ قال ﷺ: «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»[1]، كما أن هناك حوادث مُشابهة كثيرة، لم نذكرها للاختصار.

وكان النبي ﷺ يبعث رسله إلى الملوك واحدًا بعد واحد، وكذلك أمراءه على البلدان، فيرجع الناس إليهم في جميع الأحكام العملية والاعتقادية، فبعث أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه إلى أهل نجران، وبعث دحية الكلبي رضي الله عنه بكتاب إلى عظيم بُصرى، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

وهذا نهج الصحابة أيضًا، قال ابن القيم في رَدِّهِ على من ينكر حجية خبر الواحد: " ومن هذا إخبار الصحابة بعضهم بعضًا؛ فإنَّهم كانوا يجزمون بما يحدث به أحدهم عن رسول الله ﷺ، ولم يقل أحد منهم لمن حدثه عن رسول الله ﷺ خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر...

وكان أحدهم إذا روى لغيره حديثًا عن رسول الله ﷺ في الصفات؛ تلقاه بالقبول، واعتقد تلك الصفة به على القطع واليقين؛ كما اعتقد رؤية الرب، وتكليمه، ونداءه يوم القيامة لعباده بالصوت الذي يسمعه البعيد كما يسمعه القريب، ونزوله إلى سماء الدُّنيا كل ليلة، وضحكه، وفرحه، وإمساك السماوات على إصبع من أصابع يده، وإثبات القدم له؛ من سمع هذه الأحاديث

[1] أخرجه البخاري (**1395**)، ومسلم (**29-19**)، وأبو داود (**1584**)، والترمذي (**625**)، وأحمد (**2017**)، وغيرهم.

ممن حدث بها عن رسول الله ﷺ، أو عن صاحب اعتقد ثبوت مقتضاها بمجرد سماعها من العدل الصادق، ولم يرتب فيها[1].

وروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "بينا الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة؛ فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة"، ولا يقال: إن هذا في حكم عملي؛ لأن العمل بهذا الحكم مبني على اعتقاد صحة الخبر.

ومن فهم الصحابة لهذا أيضًا ما أخرجه البخاري عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: «لَعَنَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعودٍ الوَاشِمَاتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ، وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ»، فَقَالَتْ أُمُّ يَعْقُوبَ: مَا هَذَا؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «وَمَا لِي لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ؟» قَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ فَمَا وَجَدْتُهُ، قَالَ: "وَاللَّهِ لَئِنْ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: 7)"[2].

---

[1] قال الشافعي: "متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا فلم آخذ به؛ فأشهدكم أن عقلي قد ذهب"، فلم يفرق بين خبر الواحد والخبر المتواتر، ولم يفرق بين ما كان إخبارًا بعقيدة وما كان إخبارًا بأمر عملي، وإنما المدار كله على صحة الحديث.

وقال الإمام أحمد: " كل ما جاء عن النبي ﷺ بإسناد جيد؛ أقررنا به، وإذا لم نقر بما جاء به الرسول، ودفعناه، ورددناه، رددنا على الله أمره؛ قال الله تعالى: {وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} (الحشر:**7**)"، فلم يشترط الإمام أحمد إلا صحة الخبر. (انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ج **2** ص **294**، ومختصر الصواعق ص**544**). وقال ابن تيمية: " السنة إذا ثبتت؛ فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها " (مجموع الفتاوى ج **19** ص **85**).

[2] أخرجه البخاري (**4886**) و(**5939**)، وغيره.

والعمل بالآحاد أيضًا مذهب جُل العلماء، قال الشافعي (توفي 204هـ): "لو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الآحاد والانتهاء إليه بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلاَّ قد أثبته جاز لي، ولكن أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد بما وصفت بأن ذلك موجود على كلِّهم."[1].

وعنه قال: "إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث، واضربوا بكلامي الحائط".

وعن الإمام أحمد: "ليس لأحد مع الله ورسوله كلام".

وعن الإمام مالك: "ما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه، إلا رسول الله ﷺ".

وعن أبي حنيفة: "لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي".

وبوَّب البخاري في صحيحه لذلك فقال: "ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق" وذكر فيه خمسة عشر حديثاً، قال الحافظ ابن حجر (توفي 852 هـ): "المراد بالإجازة: جواز العمل به والقول بأنه حجة، وقصد بالترجمة الرد على من يقول: إن خبر الواحد لا يحتجّ به إلاَّ إذا رواه أكثر من شخص واحد يصير كالشهادة ويلزم منه الرد على من شرط أربعة أو أكثر"[2].

وقال ابن بطال (توفي 444هـ): "انعقد الإجماع على القول بالعمل بأخبار الآحاد "[3].

---

[1] الرسالة ص 427.

[2] فتح الباري ج 13 ص233.

[3] فتح الباري ج 13 ص321.

وقال الإمام أبو محمد بن حزم (توفي 457 هـ): "إن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله - ﷺ - يوجب العلم والعمل معاً وبهذا نقول". وقال أيضاً: " القرآن والخبر الصحيح بعضها مضاف إلى بعض، وهما شيء واحد في أنهما من عند الله، فمن جاءه خبر عن رسول الله يقرُّ أنه صحيح وأن الحجة تقوم بمثله، أو قد صحح مثل ذلك الخبر في مكان آخر ثم ترك مثله في هذا المكان لقياس أولقول فلان وفلان فقد خالف الله وأمر رسوله"[1].

وقال ابن عبد البر (توفي 463هـ): " وكلهم يرون خبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعاً وحكماً وديناً في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة ولهم في الأحكام ما ذكرناه"[2].

وقال الخطيب البغدادي (توفي 463هـ): " وعلى العمل بخبر الواحد كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا، ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار لذلك ولا اعتراض عليه، فثبت أن من دين جميعهم وجوبه، إذ لو كان فيهم من كان لا يرى العمل به لنقل إلينا الخبر عنه بمذهبه فيه "[3].

وقال ابن القيم: (توفي 751هـ):"ومعلوم مشهور استدلال أهل السنة بالأحاديث ورجوعهم إليها، فهذا إجماع منهم على القبول بأخبار الآحاد، وكذلك أجمع أهل الإسلام متقدموهم ومتأخروهم على رواية الأحاديث في صفات الله تعالى ومسائل القدر والرؤية وأصول الإيمان والشفاعة وإخراج

---

(1) الإحكام ص 102، 108 بتصرف.

(2) التمهيد ج 1ص34.

(3) الكفاية ص 72.

الموحدين من المذنبين من النار... وهذه الأشياء، علمية لا عملية، وإنما تروى لوقوع العلم للسامع بها، فإذا قلنا خبر الواحد لا يجوز أن يوجب العلم حملنا أمر الأمة في نقل هذه الأخبار على الخطأ، وجعلناهم لاغين هازلين مشتغلين بما لا يفيد أحداً شيئاً ولا ينفعه، ويصير كأنهم قد دونوا في أمور الدين ما لا يجوز الرجوع إليه والاعتماد عليه"[1].

وقال الحافظ ابن حجر: "يُقبل خبر الواحد وإن كان امرأة"[2].

وقال السرخسي (توفي 490 هـ": "لو لم يكن خبر الواحد حجة لوجوب العمل لما وجب الإنذار بما سمع... والأمر بالحذر لا يكون إلا بعد توجه الحجة، فدل أن خبر الواحد موجب للعمل"[4].

وأما ما عرض للمنكرين لحجية خبر الواحد من شبهة، وهي أن خبر الآحاد يفيد الظن، ويعنون به الظن الراجح لجواز خطأ الواحد، أو غفلته، أو نسيانه، والظن الراجح يجب العمل به في الأحكام اتفاقًا، ولا يجوز الأخذ به عندهم في المسائل الاعتقادية، ويستدلُّون على ذلك ببعض الآيات التي تنهى عن اتباع الظن؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا (28)﴾ (النجم: 28).

فالجواب عن هذه الشبهة أن احتجاجهم بهذه الآية وأمثالها مردود؛ لأن الظن هنا ليس هو الظن الغالب الذي عنوه، وإنما هو الشك والكذب

[1] مختصر الصواعق المرسلة ج 1 ص332..

[2] فتح الباري ج 1 ص308.

[4] أصول السرخسي ج 1ص324.

والخرص والتخمين؛ فقد جاء في "النهاية" و"اللسان" وغيرهما من كتب اللغة: " الظن: الشك يعرض لك في شيء، فتحققه، وتحكم به ".

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ (النجم: 28): "ليس لهم علم صحيح يصدق ما قالوه، بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا} أي: لا يجدي شيئًا، ولا يقوم أبدًا مقام الحق، وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ» [1]. فالشك والكذب هو الظن الذي ذمه الله تعالى، ونعاه على المشركين، ويؤيد ذلك قول تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: 116)، فوصفهم بالظن والخرص الذي هو مجرد الحزر والتخمين، وإذا كان الخرص والتخمين هو الظن، فإنه لا يجوز الأخذ به في الأحكام، لأن الأحكام لا تبنى على الشك والتخمين[2].

وأما ما قيل من احتمال غفلة الراوي ونسيانه؛ فهو مدفوع بما يشترط في خبر الواحد؛ من كون كل من الرواة ثقةً ضابطًا، فمع صحة الحديث لا مجال لتوهم خطأ الراوي، ومع ما جرت به العادة من أن الثقة الضابط لا يغفل ولا يكذب لا مجال لرد خبره لمجرد احتمال عقلي تنفيه العادة.

فالحديث إذا صح فإنه يجب العمل به، في العقائد والأحكام، وسواء في الأوامر أو النواهي، لأن الله تعالى أمرنا بقبول ما صح عن نبيه ﷺ، ألم يقل ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر:7).

---

[1] متفق عليه، انظر: رسالة "وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين للألباني.

[2] انظر: "العقيدة في الله" لعمر سليمان الأشقر، ص 30 وما بعدها.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله، وهو من هو في منازل العلم والإيمان، وهو أول من صنف في علم أصول الفقه: " الحديث إذا رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، فذلك ثبوته "[1].

وحرف الفاء في فعل الأمر (فخذوه) تُفيد الفورية، وكذا في فعل الأمر (فانتهوا)، وهذا يعني أنه متى ما صح عن الرسول شيء في أمر أو نهي لكم وجب عليكم أن تمتثلوه، وأن تُطيعوه، فإن هذا من علامات التقوى والصلاح، قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يعني خافوا من الله، ولا تُغضبوه، ثم جاء التهديد والوعيد الرباني لمن خالف وعصى ورفض أن يُتابع الرسول ﷺ فيما صح عنه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن أعرض.. والله أعلم..

السؤال الرابع هل يجب العمل بالأحاديث الصحيحة، غير المتواترة؟

هذا السؤال مرتبط بما قبله، فهذه تُسمى أحاديث الآحاد، والآحاد منها الصحيح منها الحسن، ومنها الضعيف، فالحديث الذي صحّ أو الحديث الحسن فإنَّه يجب العمل بها، سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق، وقد دلت آيات كثيرة في القرآن الكريم على أننا يجب أن نتبع الرسول ﷺ في كل ما أمرنا به، أو ما نهانا عنه، وهذه الأوامر والنواهي لا نستطيع الوصول إليها إلا من خلال ما صح من أقواله وأفعاله، أليس كذلك؟

*ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى (4)﴾ (النجم)، وفي هذه وضوح تام أن ما جاء به النبي ﷺ إنما هو وحي من الله، وليس من عند نفسه.

---

[1] "اختلاف الحديث ـ مطبوع ضمن كتاب الأم ـ (ج10 ص107) ".

وقد يتحذلق ويتذاكى بعض الناس ويقول: إن الضمير (هو) هنا يعود على القرآن، وليس على النبي ﷺ، أقول له: هذا ممكن أن يكون إن لم يكن هناك قرينة تمنعه، والقرينة موجودة وواضحة وضوح الشمس في كبد السماء، وهي الآية التالية، قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5)﴾ فالتعليم يكون لمن؟ أليس للنبي ﷺ؟.

*وقوله تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)﴾ (النساء)، فكيف نُحكمه الآن فيما شجر بيننا، وهو قد مات؟ لا شك أننا يجب أن نُحكم ما صح من سُنته وأقواله وأفعاله، وقد أقسم الله أنَّنا إن لم نُحكم سُنَّة النبي فينا فإنَّ الإيمان منفي عَنَّا، نسأل الله العفو والعافية والسداد.

*وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (80)﴾ (النساء)، فكيف نُطيع الرسول ﷺ وقد مات؟ لا شك أن طاعتنا تكون لأوامره ونواهيه التي صَحَّت عنه.

*وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51)﴾ (النور)، فكيف سنُحَكمه في أمورنا؟ لا شك أننا نُحَكِّم أقواله وأفعاله، وهذه هي السُّنة.

ولم يكتفِ بذلك فقط، بل يجب أن نقول لأمر الله ورسوله: (سمعنا وأطعنا) فنتقبلها بكل صدر رحب، ولا نعترض عليها، ولا نُخالفها، فهذا هو طريق الفلاح.

*وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)﴾ فماذا نتبع من الرسول ﷺ وقد

مات؟ نتبع أقواله وأفعاله وسُنَّته، ونطيعه فيما أمر، وننتهي عما نهى، لهذا قال بعدها: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32)﴾ (آل عمران).

*وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (النور:62)، ونحن نعلم أن القرآن صالح لكل زمان ومكان[1]، فكيف نستأذن الرسول ﷺ ونستشيره؟ لا شك أن ذلك بعرض أعمالنا وأقوالنا وأحوالنا على سُنته.

*وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب:36)، والرسول ﷺ غير موجود الآن كي يأمرنا وينهانا، فما الحل؟ أوامره ونواهيه هي ما صحت من سُنته، ومن الأحاديث التي فيها أخباره وأحواله.

*وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)﴾ (النور) وهذه كسابقتها، لكن؛ هنا تهديد لنا إن لم نقبل أحاديث الرسول ﷺ من فتن عظيمة تُظلنا، ففي سنته النجاة من الفتن.

وهناك آيات أُخرى، لم أذكرها خوف الإطالة، كما وهناك أحاديث صحيحة تحثنا على طاعة النبي ﷺ في كل ما أمر، منها قوله ﷺ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ،

[1] سمعت د. ذاكر نايك يقول: "لا ينبغي أن نقول: إن القرآن صالح لكل زمان ومكان، بل نقول: إن القرآن يَصلُح به كل زمان ومكان".

تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[1].. ألم تلاحظ قوله: **(سُنتي)**؟.. ركز عليها كثيرًا، وركّز على قوله: «**تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذ**».

وقوله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[2].

وقال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا؛ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي**»[3].

وكذا قوله ﷺ: «**أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ**»[4].

لاحظ أيها القارئ الغالي قوله عليه السلام: (مثله) يعني في التصديق والثبوت، وقوله: (معه) في التطبيق والعمل.

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله : " والذي ندين به ولا يسعنا غيره: أنَّ الحديث إذا صح عن رسول الله ﷺ ولم يصح عنه حديث آخر بنسخه، أنَّ الفرض علينا وعلى الأمة الأخذ بحديثه وترك ما خالفه، ولا نتركه لخلاف أحد كائنا من كان لا راويه ولا غيره"[5].

---

[1] أخرجه أبو داود (**4607**)، والترمذي (**2676**)، وابن ماجة (**42-43**)، وأحمد (**17142**)، وصححه الألباني.

[2] أخرجه البخاري (**7280**).

[3] أخرجه مالك في الموطأ (1661)، قال ابن عبد البر عن الحديث: «**محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم.شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد**» (التمهيد ج 24 ص 331).

[4] رواه أبو داود (4604)، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود.

[5] إعلام الموقعين ج 4 ص408.

وقال العلامة أحمد شاكر (توفي 1377هـ) **محقق المسند** : " والحق الذي ترجحه الأدلة الصحيحة ما ذهب إليه ابن حزم ومن قال بقوله: من أنَّ الحديث الصحيح يفيد العلم القطعي، سواء أكان في أحد الصحيحين أم في غيرهما، وهذا العلم اليقيني علم نظري برهاني، وهذا العلم يبدو ظاهراً لكل من تبحر في علم من العلوم، وتيقنت نفسه بنظرياته واطمأن قلبه.... ودع عنك تفريق المتكلمين في اصطلاحاتهم بين العلم والظن فإنَّما يريدون بهما معنى آخر غير ما نريد، ومنه زعمهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، إنكاراً لما يشعر به كل واحد من الناس من اليقين بالشيء ثم ازدياد هذا اليقين"[1].

✍ السؤال الخامس : هل عذاب القبر يكون على الروح، أم على الجسد؟

الجواب: الأصل أنَّ النعيم والعذاب في القبر يكون على الروح، وقد تتصل الروح بالبدن فيصيبه شيء من العذاب أو النعيم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" فَلْيُعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ "سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا" أَنَّ الْمَيِّتَ إذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ وَأَنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِرُوحِهِ وَلِبَدَنِهِ وَأَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ مُنَعَّمَةً أَوْ مُعَذَّبَةً وَأَنَّهَا تَتَّصِلُ بِالْبَدَنِ أَحْيَانًا فَيَحْصُلُ لَهُ مَعَهَا النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ. ثُمَّ إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى أُعِيدَتْ الأَرْوَاحُ إلَى أَجْسَادِهَا وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهَذَا كُلُّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ" إ.هـ

وقد دَلَّت بعض الأحاديث النبوية في طياتها أن عذاب القبر يكون على الروح والجسد، مثل حديث الْبَرَاء بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ

---

[1] الباعث الحثيث ج 1 ص125.

ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا... إلى أن قال: « ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»، فَقَدْ صَرَّحَ الْحَدِيثُ بِإِعَادَةِ الرُّوحِ إلَى الْجَسَدِ وَبِاخْتِلافِ أَضْلاعِهِ وَهَذَا بَيِّنٌ فِي أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى الرُّوحِ وَالْبَدَنِ مُجْتَمِعَيْنِ.

وربما يُستأنس لذلك بقوله ﷺ: «**إنَّ القَبرَ لَيَضيق عَلَى الكافِرِ حَتّى تَختَلِفُ أَضْلاعهُ**» فهذا يدل على أن العذاب يكون على الجسم لأنَّ الأضلاع في الجسم[1].

وَأَمَّا انْفِرَادُ الرُّوحِ وَحْدَهَا بالعذاب أو النعيم، فَقَدْ تَقَدَّمَ ما يدل على ذلك حديث كَعْب بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يبعثه الله إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ**»[2]، وَقَوْلُهُ: «يَعْلُقُ» أَيْ يَأْكُلُ.

قال ابن عثيمين: " إن عذاب القبر على الروح في الأصل، وليس أمراً محسوساً على البدن فلو كان أمراً محسوساً على البدن لم يكن من الإيمان بالغيب ولم يكن للإيمان به فائدة لكنه من أمور الغيب، وأحوال البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا".

لكن السؤال الذي يسأله هؤلاء: لم لا نرى أثر للعذاب على جسد الميت؟

---

[1] الحديث أخرجه أحمد (**12271**)، والطيالسي (**789**)، وابن أبي شيبة (**12062**)، وغيرهم الكثير، وهو حديث صحيح مشتهر، وانظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (ج1 ص25)، والقيامة الصغرى للدكتور عمر الأشقر ص (107).

[2] أخرجه النسائي (2073)، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

قلتُ (إبراهيم): بما أن مرحلة البرزخ مختلفة اختلافًا كُليًا عن مرحلة الحياة الدنيا، فلا شك أن الجسد هناك يختلف اختلافًا كُليًا عنه في الدنيا، هذا إذا كان العذاب على الجسد مع الروح، كما أن الجسد في مرحلة الآخرة أيضًا يختلف اختلافًا كُليًا عنه في الدنيا والبرزخ، وقد أخبرنا الرسول ﷺ - كما سبق- أن الروح تعود للجسد في البرزخ، وأخبرنا أن العقل يعود إلى الجسد كما كان في الدنيا، وأخبرنا الرسول ﷺ عن حجم الجسد وشكله في الآخرة يختلف اختلافًا كليًا عنه في الدنيا، ففي الجنة -مثلاً- يكون طول الجسد ستين ذراعًا، كما قال النَّبِيِّ ﷺ قال: **«خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً»**[1]، والذراع مقياس تقديره بالمقاييس المعاصرة (64 سم)[2].

وأن أجسادهم هناك لا شعر عليها كما ثبت في الحديث: **«يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلاَثِينَ أَوْ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً»**[3]، وقوله ﷺ: (جُرْدًا) جمع أجرد، وهو الذي خلا جسمه من الشعر.

وورد أيضًا أنهم يدخلون الجنة وتكون أجسادهم على طول آدم عليه السلام، وعلى جمال يوسف، وعلى عمر عيسى ثلاث وثلاثون سنة، وعلى لسانِ وخُلُق محمد ﷺ، وعلى قلب أيوب، عليهم الصلاة أجمعين، وأهل النار أيضًا في الآخرة تختلف أجسادهم عن الدنيا وعن البرزخ، ففي الحديث: **«يُحْشَرُ مَا بَيْنَ السِّقْطِ إِلَى الشَّيْخِ الْفَانِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي خَلْقِ آدَمَ، وَقَلْبِ أَيُّوبَ، وَحُسْنِ**

---

[1] رواه البخاري (6227)، ومسلم (2834).

[2] كما جاء في " المعجم الوسيط " (ص311).

[3] رواه الترمذي (2545)، ورواه الإمام أحمد في "المسند"، وصححه أبو حاتم في "العلل" (ج3ص272)، والألباني في "السلسلة الصحيحة" (ج6 ص224)، وحسنه محقق المسند، والهيثمي في "مجمع الزوائد" (10 ص402).

يُوسُفَ مُرْدًا مُكَحَّلِينَ» قُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللهِ! فَكَيْفَ بِالْكَافِرِ؟ قَالَ: **«يُعَظَّمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَصِيرَ غِلَظُ جِلْدِهِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، وَقَرِيضَةُ النابِ مِنْ أَسْنَانِهِ مِثْلُ أُحُدٍ»**[1].

إذاً: يختلف الجسم أو الجسد من الحياة الدنيا إلى البرزخ إلى الآخرة، بل إنَّه في الحياة الدنيا يختلف الجسد من مرحلة إلى أُخرى، فإن مرحلة البرزخ والآخرة من باب أولى أن تكون مُختلفة، فهل رأيتم –مثلاً- طفلاً يولد وله ذيل (ذنب)؟ هذا مستحيل في الدنيا، إلا أن تكون حالة مرضيّة يُسميها العلماء (طفرة) خارجة عن المألوف، لكن السؤال: كيف لا يكون له ذيل وقد كان له قبل تسعة أشهر عندما كان حيوانًا منويًا؟ السبب باختصار: لأن مرحلة النطفة تختلف عن مرحلة الطفل. ثم لماذا بعد فترة قصيرة من التلقيح يبدأ بالنمو وظهور الأطراف والعظام والفقرات، فيختلف شكله عن الحيوان المنوي؟ الجواب: لأنَّ مرحلة النُّطفة تختلف عن مرحلة الجنين.

فجسد الدنيا مثل ذَنَب الحيوان المنوي الذي يُقطع عند التلقيح؛ لأنه لم يعد له فائدة في مرحلة الجنين بينما كان قبل ذا أهمية، ومثل الحبل السُّري والمشيمة التي تُقطع وتُرمى؛ لأنه لم يعد لها نفع في مرحلة الدنيا، بينما كانت في مرحلة الجنين ذات أهمية.

خُلاصة: الأجساد تختلف بين الدنيا والبرزخ والآخرة، فالجسد في الدنيا ليس له أي علاقة بالجسد الذي يكون في البرزخ أو في الآخرة، وبما أن

[1] أخرجه ابن أبي الدنيا في "صفة الجنة" (210)، والطبراني في " المعجم الكبير" (ج20 ص280)، والبيهقي في " البعث والنشور" (410)، وعزاه ابن حجر في "المطالب العالية" (4750) لأبي يعلى الموصلي، وأفراد أسانيد هذا الحديث ضعيفة، ولكن لعله أن يتقوى بمجموع طرقه، ولذلك حسن المنذري الحديث في " الترغيب والترهيب " (ج4ص 274)، وصححه الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة " (2512).

الرسول ﷺ أخبرنا أنَّ الروح تعود إلى الأجساد في قبورها، ولو راقبنا الميت فإنَّنا لا نرى أي تغيّر على جسده، فالعذاب والنعيم سيكون على الروح لا الجسد الدنيوي، فإن كان لا بد من وجود جسد في مرحلة البرزخ، فأنه سيكون جسدًا مُتَناسبًا مع تلك المرحلة، بحيث لا يُرى؛ لأنه في عالم الغيب، وجسد الدنيا يجيف ويُصبح رميمًا لأنه لا ينفع في عالم البرزخ ولا في الآخرة.

والله تعالى أعلى وأعلم.

✍ السؤال السادس : هل يكون عذاب قبل الحساب؟ إذا كان ذلك فإن هذا ظلمًا ، إذ كيف يُعاقب أحد قبل أن يُحاسب؟ فإذا ثبت الجُرم عندها يُعاقب.

الجواب: هذا السؤال مهم للغاية، ويذكره مُنكروا عذاب القبر كثيرًا، والحقيقة أنه من الظلم أن يُعاقب أو يُعذب مُتهم قبل أن يُحاسب أو يُعرض عليه جُرمه، فيعترف به أو تُقام عليه الحُجة والبُرهان، فإذا اعترف أو أُقيم عليه الدليل، فإنه يستحق العذاب أو العقاب.

وهذا ما يحصل في القبر، فلم يثبت في حديث واحد أن العذاب يكون قبل الحساب أو قبل السؤال، والإقرار بالذنب، فكل الأحاديث تُخبرنا أن الملائكة تأتي إلى الميت فتُقعده، وتفتح سجلات قلبه وإيمانه وعقيدته، فتسأله الأسئلة الثلاثة: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فإذا أجاب عليها إجابة صحيحة، فإنه يستحق البُشرى والبقاء في راحة بال وهناء وسرور حتى يأتي يوم الحساب الأكبر، فالإجابة في القبر لا تكون من اللسان، بل من القلب.

أما إذا لم يُجب، وقال: لا أدري، وذلك لأن هذه الأسئلة لم تجد في قلبه مكانًا، ولم ترسخ فيه، وقد أعذره الله خمسين أو ستين أو سبعين سنه، وأنذره بِنُذُرٍ كثيرة؛ كالشيب والأمراض وحوادث الدهر، فلم يرعوي، ولم يتعظ، ولم يعتبر، عندها يستحق أن يُعَذّب بقدر بطريقة لا يعلمها إلا الله، حتى يأتي يوم الحساب الأكبر، فتُفتح السجلات الأخرى، سجلات العبادات والأخلاق والعاملات، والمظالم، وغيرها، ففي القبر يُسأل عن التوحيد والعقيدة، وفي القيامة عن كل شيء صغير وكبير، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)﴾ (سورة الأنبياء).

وهذا تُثبته كل الأحاديث في هذا الباب على إطلاقها، ومنها -على سبيل المثال- ما أخرجه البخاري أن النبي ﷺ يقول: «إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ وتولَّى عنه أصحابُه، وإنّه ليَسمَعُ قرعَ نِعالِهم، أتاهُ مَلَكانِ فيُقعدانِهِ فيقولانِ: ماكنتَ تَقولُ في هذا الرجُلِ؟ لمحمدٍ ﷺ. فأمّا المؤمِنُ فيقولُ أشهدُ أنهُ عبدُ اللّهِ ورسولهُ. فيقال له: انظُرْ إلى مَقْعدِك مِنَ النّارِ، قد أبدَلَكَ اللّهُ بهِ مَقعداً منَ الجنةِ، فيراهُما جميعاً»... «وأمّا المنافِقُ فيقالُ لهُ: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجُلِ؟ فيقول: لا أدري، كنتُ أقولُ ما يقولُ الناسُ. فيقال: لا دَرَيتَ ولا تَلَيتَ. ويُضرَبُ بمطارِقَ من حديدٍ ضَربةً، فيَصيحُ صيحةً يَسمعُها مَن يَليهِ غيرَ الثقلَينِ»[1].

وكذا ما أخرجه أحمد وغيره، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ، غَيْرَ فَزِعٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ:

[1] أخرجه البخاري (1374)، ومسلم (70-2870)، وأبو داود (4752)، وغيرهم.

فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقولُ: كُنْتُ فِي الإِسْلامِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ، جَاءنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللهَ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللهُ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا، وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، وَيُقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ، فَزِعًا مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلا، فَقُلْتُهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللهُ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى»[1]. والله اعلم..

السؤال السابع ماذا يحدث للأتقياء في قبورهم ؟.

قد دلت الأدلة على أن المؤمن يُنَعَّم في قبره، حتى تقوم الساعة فينتقل بفضل الله ورحمته إلى النعيم الذي لا ينفد ولا ينقطع وهو نعيم الجنة. جعلنا الله تعالى من أهلها، وهذه بعض صور مما ينعم به المؤمن في قبره :

1- يفرش له من فراش الجنة. 2- ويُلبس من لباس الجنة.

3- ويفسح له في قبره. 4- ويفتح له باب إلي الجنة، لِيَأْتِيَهُ مِنْ نَسِيمِهَا وَيَشَمُّ مِنْ طِيبِهَا وَتَقَرُّ عَيْنُهُ بِمَا يَرَى فِيهَا مِنْ النعيم.

[1] أخرجه أحمد (25089)، وقال محققه: إسناده صحيح، وأخرجه ابن ماجة (4268)، والآجري في "الشريعة" (923)، وغيرهم، وصححه الألباني في تحقيق السُّنن.

5- ويبشر برضوان الله وجنته. ولذلك يشتاق إلى قيام الساعة.

ودليل ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل الذي يقول فيه النَّبِيِّ ﷺ: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي...**» الحديث[1].

6- سروره برؤيته مقعده من النار الذي أبدله الله عز وجل به مقعداً من الجنة، ودليله حديثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جِنَازَةً فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا الإِنْسَانُ دُفِنَ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَهُ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ فَأَقْعَدَهُ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ هَذَا كَانَ مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ آمَنْتَ فَهَذَا مَنْزِلُكَ، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ لَهُ: اسْكُنْ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ .**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ**»[2].

7- ينام نومة العروس.

8- وينور له قبره.

---

[1] رواه أحمد (17803) وأبو داود (4753) وصححه الألباني في "أحكام الجنائز" (ص 156).

[2] أحمد (**10577**)، صححه الألباني في تحقيق كتاب السنة لابن أبي عاصم (**865**).

ودليله حديث أَبِي هُرَيْرَةَ مرفوعًا: «...ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إلا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ... ». وَإِنَّمَا شَبَّهَ نَوْمَهُ بِنَوْمَةِ الْعَرُوسِ لأَنَّهُ يَكُونُ فِي طَيِّبِ الْعَيْشِ. اهـ تحفة الأحوذي[1].

فهذا بعض النعيم الذي ينعم به المؤمن في قبره، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهله.. والله تعالى أعلى وأعلم.

السؤال الثامن هل عذاب القبر دائم أم منقطع؟

الجواب: يختلف عذاب العصاة من المؤمنين، فمنهم من يعفو الله عنهم فلا يعذبهم في قبورهم، ومنهم من تكون معاصية صغيرة، فيعذبون بقدرها، ثم يرفع عنهم العذاب وقد ينقطع أو يرتفع بدعاء أو صدقة، أو استغفار، أو ثواب حج، أو غيرها من أعمال الخير، ومنهم من تكون معاصيه كبيرة فيستمر به العذاب لقول النبي ﷺ: «بينما رجل يَجُرُّ إزاره من الخيلاء، خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»[2].

وأما الكافر والمنافق يستمر عذابه إلى يوم القيامة ولا يتوقف، والدليل على ذلك قول الله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} (غافر:46)، وفي حديث البراء السابق: «ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة».

[1] رواه الترمذي (**1071**)، وصححه الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة " (**1391**).
[2] أخرجه البخاري (3485).

وأما قول الله تعالى: {يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا} (يس:52). قال العلماء: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنّوم.

أو ينامون قبل البعث، قال العلامة الشنقيطي عن هذه الآية: "والتحقيق أن هذا قول الكفار عند البعث، والآية تدل دلالة لا لبس فيها على أنهم ينامون نومة قبل البعث، كما قال غير واحد، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت، يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، أي هذا البعث بعد الموت"[1].

وقال ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا: يا أبا هريرة (راوي الحديث): أربعون يوماً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، والحديث سبق معنا وقد أخرجه البخاري.

وفي هذا الحديث دلالة على أنهم يموتون بين النفختين مقدار أربعون، ولم تُحدد تلك الأربعون، وإن ذهب بعض أهل التفسير إلى أنها أربعون سنة.

فإن الآيات والأحاديث الدّالة على استمرار العذاب، من باب العموم، وقد خصصت بآية سورة (يس)، وبالأحاديث السابقة الذكر في هذا القول[2]. والله تعالى أعلى وأعلم

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾

يوسف: ٢١

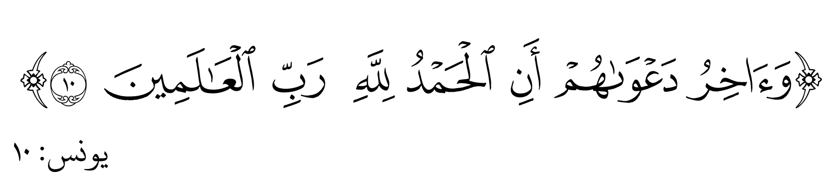
والله الموفق والهادي إلا الصراط المستقيم

[1] أضواء البيان ج6 ص489 وما بعدها.

[3] أخرجه البخاري (4536).

[2] من كتاب "الإيمان باليوم الآخر" للدكتور علي الصلابي ص73 وما بعدها.

المحتويات



يونس: ١٠